T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 240

RAĞIP P.
Ka. N.
325
329

٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى
الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما
الباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما
فاسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم
انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا و
حلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما
واشدهم بهم رأفة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه
عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا
وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به ونصره وعزره ووقره
من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف
عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة تنمو و
تنمى وعلى آله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك

وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه
المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة
بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته
بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم من عظمته حيرة فجعلوا همهم به
واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون
وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه
والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم
ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن
التعريف بقدر المصطفى عليه الصلوة والسلام وما يجب له من توقير
واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر
في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا
في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله
تعالى انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا
وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في
ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض
ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة
والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا
مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطى ومجاهل تضل فيها
الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام
ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال
والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم
وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدين الله

تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه
رحمه الله تعالى بقرائتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر النمري
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن
الاشعث حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا علي بن الحكم
عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله تعالى بلجام
من نار يوم القيمة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من
ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل
البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل
عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو
اراد الله تعالى بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا
او يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم
ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده
وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله تعالى صدع قلوبنا
وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر
دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته
ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله
وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة
القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي الكريم قولا وفعلا
وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه

عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد
من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم
عند ربه تعالى ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثني عشر
فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم
من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون
فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام ويترتب
القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته
واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله تعالى عليه وسلم
ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم امره صلى الله تعالى عليه وسلم
ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة
عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم
الثالث فيما يستحيل في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجوز عليه وما يمتنع
ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله تعالى
هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات
والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده
والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعدته و
التفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن
باليقين وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي عليه السلام
حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية
ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله
الدنيوية وما يجوز طروه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الاعراض البشرية

وفيه تسعة فصول **القسم الرابع** في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او
سبه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وينقسم الكلام فيه في بابين **الباب الاول**
في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة
فصول **الباب الثاني** في حكم شانئه عليه السلام ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه خمسة فصول **وختمناه**
بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله
في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي عليه السلام
وصحبه واختصر الكلام فيه في عشرة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب وتتم
الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم
درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور
قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله لا اله سواه
استعين هو الملك الحق المبين **القسم الاول** في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم قولا وفعلا **قال** القاضي الامام ابو الفضل رضي الله عنه
لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله
تعالى قدر نبينا عليه الصلوة والسلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن
ومناقب لا تنضبط بزمام وتنويهه بعظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام
فمنها ما صرح به تبارك وتعالى في كتابه ونبه على جليل نصابه واثنى به
عليه من اخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان
جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى
ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى
ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه
بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل
العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات

والكرامات البينة التي شاهدها من عاصرها ورآها من ادركها و
علمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت
انواره علينا صلى الله وسلم عليه كثيرا **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي
الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله تعالى قراءة مني عليه قال **ثنا** ابو الحسين المبارك
ابن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا **ثنا** ابو يعلى البغدادي قال
ثنا ابو علي السنجي قال **ثنا** محمد بن احمد بن محبوب **ثنا** ابو عيسى بن سورة الحافظ
ثنا اسحق بن منصور **ثنا** عبد الرزاق **اخبرنا** معمر عن قتادة عن انس
رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق ليلة
اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا
فما ركبك احد اكرم على الله تعالى منه قال فارفض عرقا **الباب الاول في**
ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه **اعلم** ان في كتاب الله العزيز آيات كثيرة
مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم
امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك
في عشرة فصول **الفصل الاول** فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد
المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية **قال** السمرقندي
وقرأ بعضهم من انفَسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم **قال القاضي** الامام
ابو الفضل رضي الله تعالى عنه اعلم الله تبارك وتعالى المؤمنين او العرب
او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب
انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه
وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن في
العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادة
او قرابة وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية
المدح **ثم وصفه بعد** باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه

على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضربهم في دنياهم
واخريهم وعزته عليه ورأفته ورحمته صلى الله تعالى عليه وسلم بمؤمنيهم
قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى
قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية
وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية وقوله تعالى
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى من انفسكم نسبا وصهرا وحسبا
ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلها نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم خمس مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان
عليه الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد
علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون
الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه
من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته
وموافقته موافقته فقال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر رحمه الله تعالى زين الله تعالى
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته
رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه
والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين فكان حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم
حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد الله رحمة
بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة
للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة

للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافرين بتأخير العذاب قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هو رحمة للمؤمنين وللكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم
من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله
تعالى علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر
ابن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب
اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير
رحمهما الله تعالى المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى مثل
نوره اي نور محمد عليه السلام وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل
السموات والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان مستودعا
في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره
اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور
ابرهيم عليه السلام وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد
نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تتبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل
في هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع
نورا وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا و
من هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر
هنا القلب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما شرحه بالاسلام وقال سهل
رحمة الله عليه بنور الرسالة وقال الحسن رحمه الله ملاه حكما وعلما وقيل معناه
الم نطهر لك قلبك لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك قيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل

ارادما ثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل في الاذان قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى
هذا تقرير من الله تعالى جل اسمه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على عظيم نعمه
لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية
ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثقل امور
الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط
عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم
مكانه وجليل رتبته ورفع ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رحمه الله
تعالى رفع الله تعالى ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا
صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
روى ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك
قلت الله ورسوله اعلم اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا رحمه الله تعالى
جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري
فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما لا يذكرك
احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة
ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى
واطيعوا الله والرسول آمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة
ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين
بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال حدثنا
ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسه ثنا ابو داود

ابو داود السجزي ثنا ابو الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله
بن يسار عن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لا يقولن احدكم ما شاء الله تعالى وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم
شاء فلان قال الخطابي رحمه الله ارشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى
الادب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي
للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر
ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يطع الله
ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بئس الخطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره
منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى
انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث
الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف
المفسرون واصحاب المعاني رحمهم الله تعالى في قوله عز وجل ان الله وملئكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى والملئكة ام لا فاجازه
بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملئكة وقدروا الآية
ان الله يصلي وملئكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله تعالى عنه
انه قال من فضيلتك عند الله تعالى ان جعل طاعتك طاعته فقال من
يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الآيتين روي انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه
حنانا كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله و
الرسول فقرن طاعته تعالى بطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم رغما لهم وقد اختلف
المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري رحمهما الله الصراط المستقيم هو رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه رضي الله تعالى عنهم حكاه
عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي نحوه عنهما وقال هو رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي
مثله عن ابي العالية رحمه الله في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك
الحسن رحمه الله فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط
الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد رحمهم الله تعالى وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد
وقال رحمه الله في قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها قال نعمة
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك
هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف قال غيره
الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي رضي الله عنهما وقيل غير هذا
من الاقوال وعن مجاهد رحمه الله في قوله عز وجل الا بذكر الله تطمئن القلوب
قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى عنهم الفصل الثاني
في وصفه تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالشهادة وما تعلق بها من الثناء
والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
الآية جمع الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه الآية ضروبا
من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه
صلى الله تعالى عليه وسلم بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه عليه الصلوة
والسلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله
ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا

ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا
هلال عن عطاء بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اجل والله
انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا
لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن
عبد الله بن سلام وكعب الاحبار رضي الله عنهما وفي بعض طرقه عن ابن اسحق
رحمه الله ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده
لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو
والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه
والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة
وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني
بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة
واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس و
في حديث آخر اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته في
التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة
امته الحمادون لله على كل حال وقال الله عز وجل الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الآيتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال السمرقندي
رحمه الله ذكر الله تعالى منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب
ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله تعالى سمحا

سهلا طلقا برا لطيفا صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا قاله الضحاك رحمه الله
وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و
يكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي رحمه الله تعالى ابان الله
تعالى فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله
تعالى في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء
على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله تعالى
وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم و
فضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء عليهم السلام
على اممهم ويشهد لكم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالصدق قيل ان الله تعالى
اذا سأل الانبياء صلى الله عليهم هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا
من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم السلام
ويزكيهم النبي عليه السلام وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم حجة عليكم حكاه السمرقندي رحمه الله تعالى وقال الله
تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم
رحمهم الله تعالى قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا
هي مصيبتهم بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى
عنه هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم
عز وجل وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى هي سابقة رحمة
اودعها في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله هو امام
الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
حكاه عنه السلمي الفصل الثالث فيما ورد في خطابه تعالى اياه مورد الملاطفة
والمبرة صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو
محمد المكي رحمه الله قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله و

وقال عون بن عبد الله رحمة الله عليه اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى
السمرقندي رحمه الله عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت
لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه
ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى اخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي
لب ومن اكرامه تعالى اياه صلى الله تعالى عليه وسلم وبره به ما ينقطع دون
معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه رحمه الله ذهب ناس الى ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان
صلى الله تعالى عليه وسلم مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى انه لو لم ياذن
لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب
باداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف
الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويثير
ما فيها من الفوائد وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر
الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء عليهم السلام
بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك
اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته
وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته
وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون فانهم لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله تعالى عنه قال

ابو جهل للعين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به
فانزل الله تبارك وتعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
الاية وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل
عليه السلام فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق
فانزل الله تبارك وتعالى الاية ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ من تسليته
تعالى له عليه الصلوة والسلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه
صلى الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض
نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم بسمة الكذب ثم جعل الذم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال تبارك وتعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد
انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه صلى الله تعالى عليه وسلم وانسه بما ذكره عمن كان
قبله ووعده صلى الله تعالى عليه وسلم النصر بقوله سبحانه وتعالى ولقد
كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا وقال الفراء والكسائي رحمهما الله لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون
على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب
وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم
وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم السلام باسمائهم
فقال تعالى يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا زكريا يا عيسى يا يحيى ولم يخاطب
هو صلى الله تعالى عليه وسلم الا يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل
يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه عز وجل

بعظيم قدره صلى الله تعالى
عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير

في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حيوة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه
وبقائك يا محمد وقيل وعيشك يا محمد وقيل وحيوتك وهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله تعالى
وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى
اقسم بحيوة احد غيره قال ابو الجوزاء رحمه الله ما اقسم الله سبحانه وتعالى
بحيوة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال
تعالى يس والقران الحكيم الآيات اختلف المفسرون رحمهم الله تعالى
في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له
وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه اراد يا سيد
مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما يس يا انسان اراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال هو قسم و
هو من اسمائه الله عز وجل وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل
وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية رحمه الله يس يا محمد وعن كعب يس قسم
اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق الله السماء والارض بالفي عام يا محمد
انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه
من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم
ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء
قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه
وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه
اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش رحمه الله لم يقسم
الله تعالى لاحد من انبيائه عليهم السلام بالرسالة في كتابه الا له صلى الله

تعالى عليه وسلم وفيه من تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتمجيده على تأويل من
قال انه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر
وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه
بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك
ما فعلت به على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة شرفها الله تعالى وقال
الواسطي رحمه الله اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك
ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله سبحانه وانت حل
بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء رحمه الله في تفسير قوله سبحانه وتعالى وهذا البلد الامين
قال امنها الله تعالى بمقامه فيها وكونه بها فان كونه بها امان حيث كان
ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد آدم عليه السلام فهو عام ومن قال هو ابراهيم
عليه السلام وما ولد فهي ان شاء الله اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتتضمن السورة
القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما
هذه الحروف اقسام اقسم الله تعالى بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال
سهل بن عبد الله التستري رحمه الله الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد
عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي رحمه الله تعالى ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه
الله تعالى انزل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القرآن
لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه
من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء رحمه الله في قوله تعالى
ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل
الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر فيه ذلك لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل
هو اسم لله تعالى وقيل اسم جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر
ابن الصادق رضي الله عنهما في تفسيره والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم
وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم وهوى انشرح من الانوار وقال انقطع

انقطع عن غير الله تعالى وقال ابن عطاء رحمه الله في قوله تعالى والفجر و
ليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان الفصل الخامس
في قسمه تعالى جده له صلى الله تعالى عليه وسلم لتحقق مكانته عنده
قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه
السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر
نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة
الوحي فنزلت السورة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى تضمنت هذه
السورة من كرامة الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم وتنويهه به وتعظيمه
اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا
سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته صلى الله
تعالى عليه وسلم عنده عز وجل وحظوته لديه بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى
اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث
قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق رحمه الله اي لك
في مرجعك عند الله تعالى اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل
رحمه الله اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير مما اعطيتك
في الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة
لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة
قال ابن اسحق رحمه الله يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه
الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال ليس آية في القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه
قبل في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف
التفاسير ولا مال له صلى الله تعالى عليه وسلم فاغناه بما آتاه او بما جعله

في قلبه من القناعة والغنى ويتيما تحدب عليه عمه وآواه اليه وقد قيل آواه الى
الله تعالى وقيل يتيما لا مثال لك فآواك الله وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك
ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من
التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا
قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم
امره سبحانه وتعالى باظهار نعمته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وشكر ما شرفه
بنشره واشادة ذكره بقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة
الحديث بها وهذا خاص له عام لامته صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سبحانه
وتعالى والنجم اذا هوى الى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون
رحمهم الله في قوله تعالى والنجم اذا هوى باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره
ومنها القران وعن جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهما انه محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل في قوله تعالى
والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه السلمي رحمه الله تضمنت هذه الآيات من فضله
وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه
صلى الله تعالى عليه وسلم عن الهوى وصدقه بما تلا وانه وحي يوحى اوصله اليه
عن الله تعالى جبريل وهو القوي الشديد ثم اخبر تعالى عن فضيلته صلى الله
تعالى عليه وسلم بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره
صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه على
مثل هذا تبارك وتعالى في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه الصلوة
والسلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على
التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد

النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز و
قال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما
اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى واشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته
عليه الصلوة والسلام وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده
ولسانه وجوارحه فزكى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ
البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو
بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله
ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه تعالى
رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى و
غيره رحمهم الله تعالى الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه ولقد
رآه يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قيل رأى ربه عز وجل وقيل رأى
جبريل عليه السلام في صورته وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم ومن قرأ
بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء له والتذكير بحكمه وعلمه وهذه لمحمد صلى الله
عليه وسلم باتفاق قال تبارك وتعالى ن والقلم الآيات اقسم الله تعالى
بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما غمصته
الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة
ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الآداب في المحاورة
ثم اعلمه سبحانه وتعالى بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا ياخذه
عد ولا يمتن به عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تبارك وتعالى وان لك
لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك

تتميما للتمجيد بحرف التأكيد فقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة إلا الله جل وعلى قال الواسطي رحمه الله تعالى أثنى عليه بحسن قبوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أسداه إليه من نعمه تعالى وفضله بذلك على غيره لأنه سبحانه جبله صلى الله تعالى على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع إفضاله ثم سلاه تعالى عن قولهم بعد هذا بما وعده صلى الله تعالى عليه وسلم به من عقابهم وتوعدهم بقوله تعالى فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله سبحانه ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر سبحانه بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله تعالى فلا تطع المكذبين إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله تبارك وتعالى سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله تعالى له عليه السلام أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده صلى الله تعالى عليه وسلم

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى في حقه عليه السلام مورد الشفقة والإكرام قال الله تبارك وتعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل أمر من الوطء والها كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي عليه السلام يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ومن أصله نقلت ثنا أبو ذر الحافظ ثنا أبو محمد الحموي ثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبد بن حميد ثنا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه عليه السلام كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا وجزعا ومثله قوله تعالى أيضا لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال تعالى إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة وقوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي رحمه الله تعالى سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه الله تعالى بما أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثلهم من كفار مكة وأنه عليه السلام ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره عليه السلام بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر على

اذاهم فانك بحيث تراك وتحفظك سلاه الله تعالى بهذا في اي كثير من
هذا المعنى والله تعالى المستعان **الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به**
في كتابه العزيز من عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم وشريف منزلته
على الانبيا وخطوة رتبته عليهم قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن
القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل لم يؤته
غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون رحمهم الله اخذ الله تعالى
الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا عليه السلام ونعته اخذ عليه ميثاقه
ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم
وقوله تعالى ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد عليه السلام قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله تعالى نبيا من ادم عليه السلام
فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد عليه السلام لئن بعث وهو حي ليؤمنن به
ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قوله ونحوه عن السدي وقتادة رحمهما الله
في اي تضمنت فضله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير وجه واحد قال الله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال تعالى
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله شهيدا روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي عليه السلام فقال بابي انت وامي
يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان
بعثك اخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة رحمه الله تعالى
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم

واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم مقدما هنا قبل
نوح وغيره قال السمرقندي رحمه الله في هذا تفضيل نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ الله تعالى عليهم الميثاق
اذ اخرجهم من ظهر آدم عليه السلام كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض الاية وقال اهل التفسير رحمهم الله اراد بقوله ورفع بعضهم
درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له
الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبيا عليهم السلام
اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها
قال بعضهم ومن فضله عليه السلام ان الله تعالى خاطب الانبيا
عليهم السلام باسمائهم وخاطبه عليه السلام بالنبوة والرسالة في كتابه
فقال تعالى يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي
رحمهما الله تعالى في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة
على محمد عليه السلام اي ان من شيعة محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه
واجازه الفرا وحكاه عنه مكي رحمه الله وقيل المراد نوح صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين **الفصل الثامن في اعلام الله تعالى خلقه** بصلوته عليه وولايته
له ورفعه العذاب بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم اي ماكنت بمكة فلما خرج النبي عليه السلام من مكة
وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهم
يصدون عن المسجد الحرام وهذا من بين ما يظهر مكانته صلى الله تعالى
عليه وسلم ودرءه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه صلى الله عليه وسلم
ثم كون اصحابه رضي الله عنهم بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم

عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم
ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله تعالى بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين
الصيرفي ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن احمد بن محبوب
المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفين بن وكيع ثنا ابن نمير عن اسمعيل
ابن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى
عن ابيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل
الله تعالى علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه
قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن
قال بعضهم الرسول عليه السلام هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته
باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى
ان الله وملئكته يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى فضل نبيه عليه
السلام بصلوته سبحانه عليه ثم بصلوة ملئكته وامر عباده بالصلوة و
التسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تأول قوله عليه السلام
وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اي في صلوة الله تعالى علي وملئكته
وامره الامة بذلك الى يوم القيمة والصلوة من الملئكة عليهم السلام ومنا
دعاء له عليه السلام ومن الله تعالى رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة
والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما وذكر
بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله
تعالى لنبيه عليه السلام قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء

الهاء هدايته تعالى له عليه السلام وقال ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده
له قال تعالى ايدك بنصره والعين عصمته تعالى له عليه السلام قال تعالى والله
يعصمك من الناس والصاد صلوته تعالى عليه عليه السلام قال تعالى ان الله
وملئكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو موليه
وجبريل الاية موليه اي وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملئكة
عليهم السلام وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي رضي الله عنهم وقيل المؤمنون على ظاهره
والله الموفق للصواب **الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح** من كراماته
صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله تعالى
يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الآيات من فضله صلى الله تعالى عليه وسلم و
الثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء
اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بما قضاه تعالى له
من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه صلى الله
تعالى عليه وسلم مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران
ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي رحمه الله تعالى جعل المنة سببا للمغفرة
وكل من عنده لا اله الا هو منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال تعالى ويتم نعمته
عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك
في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه تعالى بتمام نعمته عليه صلى الله تعالى عليه
وسلم بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره
وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الى الجنة والسعادة ونصره صلى الله عليه وسلم
النصر العزيز ومنته تعالى على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في
قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك
عدوهم في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبه ثم قال تبارك
وتعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعد محاسنه عليه السلام وخصائصه

من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد
ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا
من الضلالات لتؤمنوا بالله تعالى ثم به عليه السلام من سبقت له من الله تعالى
الحسنى وتعزروه اي تجلونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه
اي تعظمونه وقرأ بعضهم تعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق
محمد عليه السلام ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء
رحمه الله تعالى جمع للنبي عليه السلام في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين
وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام
الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئته من العيوب
وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر
ابن محمد رضي الله تعالى عنهما من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته
ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ
البصر وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته الغنائم وجعله عليه السلام
شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم عليهما الصلوة والسلام وقرن ذكره بذكره ورضاه
برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله تعالى ببيعتهم اياك يد الله فوق
ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه
استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع و
قد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت و
لكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل و
الرامي في الحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه
ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من
لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملئكة عليهم السلام لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية

الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي فما قتلتموهم
وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم
بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي
بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه

صلى الله تعالى عليه وسلم ومكانته عنده وما خصه به من
ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة الاسراء
في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه
ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته عليه السلام من الناس
بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله تعالى به
عنه عليه السلام في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا
في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار
وما ظهر لهم في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك
رضي الله عنه حسبما ذكره اهل الحديث والسير رحمه الله في قصة الغار وحديث
الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك
هو الابتر اعلمه الله تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه عليه السلام وقيل نهر في الجنة
وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة
ثم اجاب تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانئك هو الابتر اي عدوك
ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال
تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني
السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران
والقران العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى
وانذار وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك نبأ القران العظيم وقيل سميت

ام القرآن مثانی لانها تثنی فی کل رکعة وقیل بل الله تعالی استثناها لمحمد
صلی الله تعالی علیه وسلم وذخرها له دون سائر الانبیاء علیهم السلام وسمی
القرآن مثانی لان القصص تثنی فیه وقیل السبع المثانی اکرمناک بسبع
کرامات الهدی والنبوة والرحمة والشفاعة والولایة والتعظیم والسکینة
وقال تعالی وانزلنا الیک الذکر الآیة وقال تعالی وما ارسلناک الا کافة
للناس بشیرا ونذیرا وقال تعالی قل یا ایها الناس انی رسول الله الیکم جمیعا
الآیة قال الفقیه القاضی رحمه الله تعالی فهذه من خصایصه صلی الله تعالی
علیه وسلم وقال تعالی وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لیبین لهم
فخصهم بقومهم وبعث محمدا علیه السلام الی الخلق کافة کما قال علیه السلام
بعثت الی الاحمر والاسود وقال تعالی النبی اولی بالمؤمنین من انفسهم و
ازواجه امهاتهم قال اهل التفسیر رحمهم الله تعالی اولی بالمؤمنین انفسهم ای
ما انفذه فیهم من امر فهو ماض علیهم کما یمضی حکم السید علی عبده وقیل
اتباع امره علیه السلام اولی من اتباع رأی النفس ازواجه امهاتهم ای
هن فی الحرمة کالامهات حرم نکاحهن علیهم بعده تکرمة له علیه السلام
وخصوصیة ولانهن ازواج له علیه السلام فی الآخرة وقد قرئ وهو اب
لهم ولا یقرأ به الآن لمخالفة المصحف وقال تعالی وانزل الله علیک الکتاب
والحکمة الآیة قیل فضله العظیم بالنبوة وقیل بما سبق له فی الازل واشار
الواسطی رحمه الله الی انها اشارة الی احتمال الرؤیة التی لم یحتملها موسی
علیه السلام **الباب الثانی فی تکمیل الله تعالی له المحاسن خلقا وخلقا و**
قرانه جمیع الفضائل الدینیة والدنیویة فیه نسقا اعلم ایها المحب لهذا النبی
الکریم الباحث عن تفاصیل جمل قدره العظیم ان خصال الجلال والکمال
فی البشر نوعان ضروری دنیوی اقتضته الجبلة وضرورة الحیوة
الدنیا ومکتسب دینی وهو ما یحمد فاعله ویقرب الی الله زلفی ثم هی

هی علی فنین ایضا منها ما یتخلص لاحد الوصفین ومنها ما یتمازج ویتداخل
فاما الضروری المحض فما لیس للمرء فیه اختیار ولا اکتساب مثل ما کان فی جبلته
علیه السلام من کمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه
وقوة حواسه واعضائه واعتدال حرکاته وشرف نسبه وعزة قومه وکرم ارضه و
یلحق به ما تدعوه ضرورة حیاته الیه من غذائه ونومه وملبسه ومسکنه ومنکحه وماله
وجاهه وقد تلحق بهذه الخصال الآخرة بالاخرویة اذا قصد بها التقوی ومعونة البدن
علی سلوک طریقها وکانت علی حدود الضرورة وقوانین الشریعة واما المکتسبة الاخرویة
فسائر الاخلاق العلیة والآداب الشرعیة من الدین والعلم والحلم والصبر والشکر والعدل
والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحیاء والمروة والصمت والتؤدة
والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهی التی جماعها حسن الخلق وقد
یکون من هذه الاخلاق ما هو فی الغریزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تکون
فیه فیکتسبها ولکنه لا بد ان تکون فیه من اصولها فی اصل الجبلة شعبة کما سنبینه
ان شاء الله تعالی وتکون هذه الاخلاق دنیویة اذا لم یرد بها وجه الله تعالی والدار
الآخرة ولکنها کلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول السلیمة وان اختلفوا
فی موجب حسنها وتفضیلها **فصل اذا کانت خصال الکمال والجلال ما ذکرنا**
ووجدنا الواحد منا یشرف بواحدة منها او اثنتین ان اتفقت له فی کل عصر اما
من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتی یعظم قدره وتضرب باسمه الامثال
ویتقرر له بالوصف بذلک فی القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال
فما ظنک بعظیم قدر من اجتمعت فیه کل هذه الخصال الی ما لا یأخذه عد ولا یعبر عنه
مقال ولا ینال بکسب ولا حیلة الا بتخصیص الکبیر المتعال من فضیلة النبوة والرسالة
والخلة والمحبة والاسراء والاصطفاء والرؤیة والقرب والدنو والوحی والشفاعة و
الوسیلة والفضیلة والدرجة الرفیعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الی الاحمر
والاسود والصلوة بالانبیاء والشهادة بین الانبیاء والامم وسیادة ولد آدم

ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية
ورحمة للعالمين واعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو
عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتأييد بالملئكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء
الى الله تعالى وصلوة الله تعالى والملئكة عليهم السلام والحكم بين الناس بما اراه الله
ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه عليه السلام واجابة دعوته وتكليم الجمادات
والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق
القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح
الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه
ذلك ومفضله به لا اله الا هو الى ما اعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات
القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون
ادراكها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه عليه السلام اعلى الناس
قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال
مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا
فاعلم نور الله تعالى قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت
الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائزا
لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ
بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت
الآثار الصحيحة المشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة
والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة
وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم
بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه

الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم
المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين و
القدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن
ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله عليه السلام
رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام واذا تكلم
رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن
ضرب اللحم قال البراء رضي الله عنه ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء احسن من
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيئا
احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك
يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه وقال له رجل كان وجه
رسول الله مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
ام معبد رضي الله تعالى عنها في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه
واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة رضي الله عنه يتلألأ وجهه عليه السلام تلألؤ
القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله تعالى عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله والاحاديث
في بسط صفته صلى الله تعالى عليه وسلم مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد
اختصرنا في وصفه عليه السلام نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى
المطلوب ان شاء الله تعالى وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه
هنالك ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه صلى الله تعالى عليه وسلم
وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى
في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة
العشر وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بني الدين على النظافة حدثنا سفيان
بن العاص وغير واحد قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد

الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت
عن انس رضي الله تعالى عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب
من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن جعفر بن سمرة رضي الله تعالى
عنه انه عليه السلام مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة
عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها
ويضع يده صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في دار انس رضي الله عنه فعرق
فجاءت امه رضي الله عنهما بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها عليه السلام عن ذلك فقالت
نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري رحمه الله في تاريخه الكبير
عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي عليه السلام يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه
سلكه من طيبه ذكر اسحق بن راهويه رحمه الله تعالى ان تلك كانت رائحته بلا طيب
صلى الله تعالى عليه وسلم وروى المزني والحربي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال
اردفني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي
فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله عليه السلام انه كان
اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك
رائحة طيبة واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي رحمهما الله تعالى في هذا خبرا عن
عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت للنبي عليه السلام انك تأتي الخلاء فلا
نرى منك شيئا من الاذى فقال لها يا عائشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج
من الانبياء عليهم السلام فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال
قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه عليه السلام وهو قول بعض اصحاب الشافعي
رحمهم الله تعالى حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين
عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية و
تخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه لم يكن

يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله تعالى عنه غسلت النبي
عليه السلام فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا
قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله
تعالى عنه حين قبل النبي عليه السلام بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه
عليه السلام يوم احد ومصه اياه وتسويغه عليه السلام ذلك له وقوله لن تصيبه
النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما دم حجامته فقال
له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روي نحو من
هذا عنه عليه السلام في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا
ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة التي شربت
بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة
بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن رضي الله تعالى عنها وكانت تخدم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده
فلم يجد فيه شيئا فسأل عنه بركة فقالت رضي الله تعالى عنها قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره رحمهم الله وكان النبي عليه السلام
قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به
قذر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام نام حتى سمع له غطيط فقام
فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه عليه السلام محفوظا فصل واما وفور عقله
وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله
صلى الله عليه وسلم فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تأمل

تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله
وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق
ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه ولم يمتر في رجحان عقله وثقوب
فهمه لاول بديهة وهذا ما يحتاج الى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه
قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي عليه السلام ارجح الناس
عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط
جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله الا كحبة رمل
من بين رمال الدنيا وقال مجاهد رحمه الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه السلام اني لاريكم من وراء ظهري
ونحوه عن انس رضي الله عنه في الصحيحين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها
مثله قالت زيادة زاده الله تعالى اياها في حجته وفي بعض الروايات اني
لانظر من ورائي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفائي
كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها
كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة
صحيحة في رؤيته عليه السلام للملائكة عليهم السلام والشياطين ورفع
النجاشي رضي الله له عليه السلام حتى صلى عليه وبيت المقدس حين
وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكى عنه عليه السلام انه كان
يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد
بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة
في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن
احمد العدل من كتابه ثنا ابو الحسن المقري الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت
ابي بكر عن ابيها ثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسيني ثنا محمد بن محمد

محمد سعيد ثنا محمد بن احمد بن سليمان ثنا محمد بن محمد مرزوق ثنا همام ثنا
الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام كان يبصر النملة
على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا
عليه السلام بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما رأى من آيات
ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه عليه السلام صرع ركانة اشد اهل وقته وكان
دعاه الى الاسلام وصارع عليه السلام ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده
ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رأيت احدا اسرع من رسول الله عليه السلام
في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته
صلى الله تعالى عليه وسلم ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب **فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول**
فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل و
الموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ
وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم
وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها و
يباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسئلونه في غير موطن عن
شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه
عليه السلام مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني
وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن
حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه صلى الله تعالى
عليه وسلم الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون
عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة

الشنب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها
الصالغ والقارح وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها
ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال
والولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد
ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك
لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة
الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع
سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الاماق ولا تأكلوا الرباق
من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة وفي كتابه صلى الله تعالى
عليه وسلم لوائل بن حجر رضي الله عنه الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب
وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب
الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب
فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى وكل
مسكر حرام ووائل حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس رضي الله عنه
في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث
الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث عطية السعدي
رضي الله عنه فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال
فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله عليه السلام في حديث العامري
حين سأله فقال له النبي عليه السلام سل عنك اي سل عم شئت وهي لغة بني عامر
واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف
الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى

بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع
من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك
امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا
قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم تسلم واسلم
يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم
اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله عليه السلام لعله
كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله عليه السلام ذو الوجهين لا يكون
عند الله وجيها ونهيه عليه السلام عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله عليه السلام اتق
الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله
عليه السلام خير الامور اوساطها وقوله عليه السلام احبب حبيبك هونا ما
عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيمة
وقوله عليه السلام وفي بعض دعائه اللهم اني اسئلك رحمة تهدي بها قلبي
وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي
بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء
اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء
الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته
وعهوده مما لا خلاف انه صلى الله عليه وسلم نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره
وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته عليه السلام التي لم يسبق
اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله عليه السلام حمي الوطيس ومات
حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها
ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد
قال له اصحابه عليه السلام ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني

وانما انزل القران بلسانی لسان عربی مبین وقال مرة اخرى بيد انی
من قريش ونشأت فی بنی سعد فجمع له بذلك قوة عارضة البادية و
جزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الی التأييد الالهی الذی
مدده الوحی الذی لا يحيط بعلمه بشری وقالت ام معبد رضی الله عنها
فی وصفها له عليه السلام حلو المنطق فصل لا نذر ولا هذر كان منطقه
خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلی الله تعالی عليه وسلم
تسليما فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج الی اقامة
دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفی منه فانه صلی الله تعالی عليه وسلم
نخبة بنی هاشم سلالة قريش وصميمها وافضل العرب واعزهم نفرا من
قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله تعالی علی الله تعالی وعلی
عباده حدثنا القاضی القضاة حسين بن محمد الصدفی رحمه الله تعالی
ثنا القاضی ابو الوليد سليمان بن خلف ثنا ابو ذر عبد بن احمد ثنا ابو محمد
السرخسی وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا
قتيبة ابن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبری عن
ابی هريرة رضی الله عنهم ان رسول الله صلی الله تعالی عليه وسلم قال
بعثت من خير قرون بنی آدم قرنا فقرنا حتی كنت من القرن الذی كنت منه
وعن العباس رضی الله تعالی عنه قال قال رسول الله صلی الله تعالی
عليه وسلم ان الله تعالی خلق الخلق فجعلنی من خيرهم من خير قرنهم ثم
تخير القبائل فجعلنی من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنی من خير بيوتهم فانا
خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع رضی الله عنه قال قال
رسول الله صلی الله تعالی عليه وسلم ان الله اصطفی من ولد ابراهيم
اسمعيل واصطفی من ولد اسمعيل بنی كنانة واصطفی من بنی كنانة قريشا
واصطفی من قريش بنی هاشم واصطفانی من بنی هاشم قال الترمذی

الترمذی وهذا حديث صحيح وفی حديث عن ابن عمر رضی الله عنهما رواه
الطبری انه صلی الله تعالی عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم
بنی آدم ثم اختار بنی آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم
قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بنی هاشم ثم اختار بنی هاشم فاختارنی
فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبی احبهم ومن ابغض العرب
فببغضی ابغضهم وعن ابن عباس رضی الله تعالی عنهما ان قريشا كانت
نورا بين يدی الله تعالی قبل ان يخلق آدم بالفی عام يسبح ذلك النور
وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالی آدم عليه السلام القی ذلك
النور فی صلبه فقال رسول الله صلی الله تعالی عليه وسلم فاهبطنی الله
تعالی الی الارض فی صلب آدم وجعلنی فی صلب نوح وقذف فی صلب
ابراهيم ثم لم يزل الله ينقلنی من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة
حتی اخرجنی بين ابوی لم يلتقيا علی سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر
العباس المشهور فی مدح النبی صلی الله تعالی عليه وسلم فصل واما ما تدعو
ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه فعلی ثلثة ضروب ضرب الفضل فی قلته
وضرب الفضل فی كثرته وضرب تختلف الاحوال فاما ما التمدح والكمال
بقلته اتفاقا وعلی كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العلماء
والعرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل
علی النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب
لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل علی القناعة
وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما
ان كثرة النوم دليل علی الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب
للكسل وعادة العجز وتضييع العمر فی غير نفع وقساوة القلب وغفلته و
موته والشاهد علی هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من

كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث
وآثار من سلف وخلف لايحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا
على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين
الفنين بالاقل هذا مما لايدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لاسيما
بارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقرائتي عليه ثنا ابو
الفضل الاصبهاني ثنا ابو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا بكر بن سهل
ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن
المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ملأ
ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان
لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من
كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا
فتخسروا كثيرا وقد روي عنه عليه السلام انه كان احب الطعام اليه ما كان على
ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله تعالى عنها لم يمتلئ جوف
النبي عليه السلام شبعا قط وانه كان في اهله لايسألهم طعاما ولا يتشهاه
ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولايعترض على هذا حديث
بريرة رضي الله تعالى عنها وقوله عليه السلام الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل
سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم انه لايحل له فاراد
بيان سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لايستأثرون عليه به فصدق
عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوا من امره بقوله عليه السلام هو لها صدقة ولنا
هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لايصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع
وفي صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء

الاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات
التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل
ويستكثر منه والنبي عليه الصلوة والسلام انما كان جلوسه للاكل جلوس
المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه عليه السلام
كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال صلى الله تعالى
عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن
استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدوء القلب وما يتعلق
به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك
الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق
فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح
بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه
دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به
سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم و
قد قال عليه الصلوة والسلام تناكحوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع
ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم
بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى
لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى
قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد
كان زهاد الصحابة رضي الله عنهم كثيري الزوجات والسراري كثيري
النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره
غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل

وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا
فكيف يثني الله تعالى عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى
بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد
انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق
بالانبياء عليهم السلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها
كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة
في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما
الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او
بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها مشغلة
في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها
وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه عز وجل درجة عليا وهي درجة
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه
تبارك وتعالى بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن و
اكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح عليه الصلوة والسلام انها ليست
من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه السلام
حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه عليه الصلوة والسلام لما ذكر من
النساء والطيب اللذين هما من دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه
بل للآخرة للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه
ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين
الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته صلى الله
تعالى عليه وسلم في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين
الحبين وفصل بين الحالين فقال عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة

عيني في الصلوة فقد ساوى صلى الله تعالى عليه وسلم يحيى وعيسى عليهما
السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان عليه السلام
ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر
ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلوة والسلام
كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة
قال انس رضي الله تعالى عنه وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه
النسائي وروي نحوه عن ابي رافع رضي الله عنه وعن طاوس رضي الله
عنه اعطي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع و
مثله عن صفوان بن سليم رضي الله تعالى عنه وقالت سلمى مولاة طاف
النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع رضي الله تعالى عنهن و
تطهر من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطيب واطهر وقد
قال سليمان عليه الصلوة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان
في ظهر سليمان عليه الصلوة والسلام ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة امرأة
وثلثمائة سرية وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية وقد
كان لداود عليه الصلوة والسلام على زهده واكله من عمل يده تسع
وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب
العزيز بقوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس رضي الله
تعالى عنه عليه الصلوة والسلام فضلت على الناس باربع بالسخاء
والشجاعة وكثرة وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر
جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيها في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى
الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول

وذم العلو في الارض وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة
والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا
امره وقضوا حاجته واخباره عليه السلام في ذلك معروفة سيأتي بعضها
وقد كانت يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته
ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود
رضي الله عنه ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له عليه الصلوة والسلام
هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف
منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ
النهاية ثم هو عليه السلام في الآخرة سيد ولد آدم عليه السلام وعلى معنى
هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره **فصل** واما الضرب الثالث فهو ما تختلف
فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال
فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته و
تمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه واملّه وتصريفه
في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة
في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير
وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال
ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد
كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة
بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره
وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه

غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء
بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل
اليها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده
منه شيء والمنفق غني ملي بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال
شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وخلقه في المال تجده
قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي
قبله وفتح عليه في حياته عليه الصلوة والسلام بلاد الحجاز واليمن وجميع
جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك
الاقاليم فما استأثر عليه الصلوة والسلام بشيء منه ولا امسك منه درهما
بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني
ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته
دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه
نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات صلى الله تعالى عليه وسلم
ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه
ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب
الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج
المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملابس والتزين بها
ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه
مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه
في العادة عند الناس انما تعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال
وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه و

مركو بانه ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها
فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائد
عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في
مظانها

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة

التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق
الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة
الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق
وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى
منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على
الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك
فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه
القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال رضي الله تعالى عنه كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه مثله وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ذكره المحققون مجبولا
عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة
الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهذا لسائر الانبيا صلوات الله وسلامه
عليه وعليهم ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف
من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت
فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا الحكمة والعلم في الفطرة قال الله تعالى
وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى عليه السلام العلم بكتاب
الله تعالى في حال صباه وقال معمر رحمه الله كان ابن سنتين او ثلث
فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى

تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما السلام وهو ابن
ثلث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه
وكانت ام يحيى تقول لمريم عليهما السلام اني لاجد ما في بطني يسجد لما في
بطنك تحية له وقد نص الله تعالى في كتابه على كلام عيسى لامه عند ولادتها
اياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان
المنادي عيسى عليه السلام ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله
اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا
حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة
وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه عليهما السلام وحكى الطبري
ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام
مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى
ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره
وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم
عليه الصلوة والسلام بعث الله تعالى اليه ملكا يامره عن الله تعالى ان
يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده
وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست
عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان
استدلال ابراهيم عليه السلام بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة
عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف عليه السلام وهو صبي عند ما هم اخوته
بالقائه في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى
غير ذلك مما ذكر من اخبارهم واخبار غيرهم وقد حكى بعض اهل السير
ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد
حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء وقال في حديثه

لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم اهم بشى مما كانت
الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله تعالى منهما ثم لم اعد ثم تتمكن الامر لهم
وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق انوار المعارف فى قلوبهم حتى
يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل هذه
الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما
بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه
الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله
تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة او صدق
اللسان او السماحة وكما نجد فى بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها
وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف
هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما اختلف
السلف فيها هل هذه الاخلاق جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض
السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة فى العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن رضى الله تعالى عنهما وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد
روى سعد رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال
كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فى حديثه والجراة والجبن غرائز يضعها الله تعالى حيث شاء
وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة الجميلة كثيرة ولكنها نذكر اصولها
ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه الصلوة والسلام بها ان شاء الله
تعالى فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها
فالعقل الذى ينبعث منه العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأى
وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس
ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب

الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله تعالى عليه وسلم وبلوغه
منه ومن العلم الغاية القصوى التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله
من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجارى احواله واطراد سيره
وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما
فى التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها
وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب
النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلم التى اتخذ اهلها كلامه صلى الله
تعالى عليه وسلم فيها قدوة واشاراته حجة كالعبادة والطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك كما سنبينه فى معجزاته صلى الله تعالى
عليه وسلم ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب
من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبى امى لم يعرف بشى من ذلك
حتى شرح الله تعالى صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول
بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط
به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله تعالى عليه وسلم
الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب
قدرته وعظيم ملكوته قال جل وعز وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما حارت العقول فى تقدير فضله عليه وخرست الالسن
دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه فصل واما الحلم والاحتمال
والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق
فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس
النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة
واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله تعالى به نبيه محمدا

صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية روي ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عليه
الصلوة والسلام عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه
فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وقال الله تعالى له عليه السلام واصبر على ما أصابك الآية
وقال عز وجل فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال الله تعالى
وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا
وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي
وغيره قالوا ثنا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره ثنا
ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن ابن
عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما
كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم الله بها وروي ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك
على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت الله عليهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال في بعض كلامه
بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند
اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت

فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى انظر ما في هذا القول من جماع
الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر
والحلم اذ لم يقتصر صلى الله تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا
ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم
اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال
فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله تعالى لم يزده عليه الصلوة والسلام في جوابه ان بين له
ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل
ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى عليه السلام من اراد
من اصحابه قتله ولما تصدى له عليه الصلوة والسلام غورث بن
الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ تحت
شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي عليه السلام
وقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية
التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي
اليه بشرح امره ولا عتب صلى الله تعالى عليه وسلم عليه فضلا عن
معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين
بعظيم ما نقل عنهم في جهته صلى الله تعالى عليه وسلم قولا وفعلا بل
قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس

رضي الله تعالى عنه كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد
غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية
البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله
الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا مال ابيك فسكت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد
منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال عليه الصلوة والسلام لم قال
لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم امر ان يحمل على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله تعالى
عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها
قط ما لم يكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله عز وجل وما ضرب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خادما ولا امرأة وجيء اليه برجل
فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك
لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة رضي الله تعالى عنه قبل اسلامه
يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له
ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله تعالى عنه وشدد له
في القول والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء
وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلث وامر صلى الله
تعالى عليه وسلم عمر رضي الله تعالى عنه يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا
لما روعه فكان سبب اسلامه رضي الله تعالى عنه وذلك انه كان
يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه عليه السلام جهله ولا تزيده

ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث
عن حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان
تاتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ
متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية و
مصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظهره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم
وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفى
وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال
عليه السلام اقول كما قال اخي يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم الآية
اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم
صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله عز وجل وهو الذي كف
ايديهم عنكم وايديكم عنهم الآية وقال عليه السلام لابي سفيان رضي الله عنه
وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه
ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله
فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم
فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها
بفروق وجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه
ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب
نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد
وهو الجود وهو ضد التقتير فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى في
هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله تعالى ثنا القاضي ابو الوليد الباجي ثنا

ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي قالوا
ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن ابن المنكدر
قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول ما سئل النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم شيئا فقال لا وعن انس رضي الله عنه وسهل بن سعد رضي الله تعالى
عنهما مثله وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه
جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضي الله تعالى عنه
ان رجلا سأله صلى الله عليه وسلم فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه
وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل
واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله تعالى عليه وسلم
قبل ان يبعث وقد قال له ورقة انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد عليه الصلوة
والسلام على هوازن سبايا ها وكانوا ستة آلاف واعطى العباس رضي الله عنه
من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه
صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي
فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ما كلفك الله ما لا تقدر
عليه فكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله
انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر رحمه الله عن معوذ ابن
عفراء رضي الله تعالى عنه اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع من رطب تريد
طبقا واجر زغب تريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس رضي الله عنه
كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه
صلى الله تعالى عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه اتى رجل النبي

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسئله فاستسلف له رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا و
قال نصفه قضاء ونصفه نائل وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ الصوفية
المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم على الفتوة على رأيهم واصطلاحهم في
الفاظهم وهي غاية الكرم والايثار ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل واحد في القيمة يقول نفسي نفسي و
هو يقول امتي امتي فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة
الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت
حيث يحمد فعلها دون خوف فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منها
بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه
غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت
له فرة وحفظت عنه جولة سواه صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا ابو علي الجياني
فيما كتب لي قال ثنا القاضي سراج ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد الفقيه
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة
عن ابي اسحق سمع البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر ثم قال
لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان بلجامها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ
احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته و
ذكر مسلم عن العباس رضي الله تعالى عنه قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى
المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه
ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال علي رضي الله تعالى عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اذا اشتد
البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون
احد اقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل
كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه
منه وعن انس رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق
ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله تعالى راجعا قد سبقهم الى
الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو
يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه ما لقي رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف
يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وكان يقول النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة
اقتلك عليها فقال له النبي عليه الصلوة والسلام ان اقتلك ان شاء الله
تعالى فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاعترضه المسلمون فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه
وتناول الحربة من الحرث بن الصمة فانتقض بها انتقاضة تطاير واعنه
تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتقض ثم استقبله النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر
ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش وهو يقول قتلني محمد وهم يقولون
لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال عليه

السلام انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في
قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان
عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل
عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد
الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه ان ذلكم كان
يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية حدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي
عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا عبد الله اخبرنا شعبة
عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري رضي الله
تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء
في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء
وكرم نفس وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا
ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله
وروى انس رضي الله تعالى عنه انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل
له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا
ويروى ينزعها قالت عائشة رضي الله تعالى عنها في الصحيح لم يكن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا
يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة
من رواية عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه
عليه الصلوة والسلام انه كان لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان
يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله تعالى عنها

ما رأيت فرح رسول الله قط فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط
خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان اوسع
الناس واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا
ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا
ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا
هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي سمعت
يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن
قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر
قصة في آخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة
فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف
فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة احق بمقدمها
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم
ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد
منهم بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا
يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا
عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان صلى الله تعالى
عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا

يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال سبحانه ادفع بالتي هي احسن السيئة
الآية وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت
كراعا ويكافئ عليها قال انس رضي الله تعالى عنه خدمت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لي لشيء صنعته لم صنعته
ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان احد احسن خلقا
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته
الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قط منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم و
يحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر
والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال
انس رضي الله تعالى عنه ما التقم احد اذن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينحي
رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى
يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه
بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق
بهما احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته
ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم
تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى
بانتهاء او قيام وروي انه عليه السلام كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي
الا خفف صلوته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلوته وكان صلى الله
تعالى عليه وسلم اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ و
او يخطب قال عبد الله بن الحارث رضي الله تعالى عنه ما رأيت احدا
اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه

كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى
الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك
في الغداة الباردة يريدون به التبرك **فصل واما الشفقة والرأفة**
والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عليه السلام عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم **و** قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله تعالى اعطاه
اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم **و** حكى نحوه الامام ابو بكر
ابن فورك **حدثنا** الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه **ثنا**
امام الحرمين ابو علي الطبري **ثنا** عبد الغافر الفارسي **ثنا** ابو احمد الجلودي
ثنا ابراهيم بن سفيان **ثنا** مسلم بن الحجاج **ثنا** ابو الطاهر **ثنا** ابن وهب **اخبرنا**
يونس عن ابن شهاب رضي الله تعالى عنه قال غزا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة **قال** ابن شهاب **ثنا** سعيد بن
المسيب ان صفوان رضي الله عنه قال والله لقد اعطاني ما اعطاني
وانه عليه السلام لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي
ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي
لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام
ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم
فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك
قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين
ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما
كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابي
قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل و

من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مثلي ومثل هذا رجل له ناقة
شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني
وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام
الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني
لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار **وروي** عنه عليه الصلوة
والسلام انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان
اخرج اليكم وانا سليم الصدر **ومن** شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على
امته تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم
كقوله عليه الصلوة والسلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع
كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيه اياهم عن الوصال وكراهته دخول
الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته **ومن** شفقته
صلى الله تعالى عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته
فاجعل ذلك له زكوة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة
ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله تعالى قد سمع قول قومك
لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال
وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبد الله وحده
ولا يشرك به شيئا **وروي** ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر
عن امتي لعل الله تعالى ان يتوب عليهم **قالت** عائشة رضي الله تعالى عنها
ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما **وقال**
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا

بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها ركبت
بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عليك بالرفق فصل واما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم في الوفا وحسن العهد
وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراتي عليه قال ثنا ابو بكر
محمد بن محمد ثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود
ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد
الكريم عن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء رضي الله تعالى
عنهم قال بايعت النبي صلى الله تعالى عليه ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية
فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث فجئت فاذا هو في مكانه
فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وعن انس رضي الله عنه
كان النبي عليه السلام اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها
كانت صديقة لخديجة رضي الله تعالى عنها انها كانت تحب خديجة رضي الله
تعالى عنها وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت
خديجة رضي الله تعالى عنها لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة
فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة
فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة
وان حسن العهد من الايمان ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بعضهم فقال
كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء
غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب
يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة رضي الله
تعالى عنه قال وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم
فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم

اكافيهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيما في سبايا هوازن وتعرفت له بسط
رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى
قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رضي الله تعالى عنه رأيت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه
فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السائب رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه
من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه
من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان عليه السلام يبعث الى ثويبة مولاة ابي
لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا احد
وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها انها قالت له عليه الصلوة والسلام ابشر
فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري
الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم
على علو منصبه ورفعة رتبته فكان صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس تواضعا
واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون
نبيا عبدا فقال له اسرافيل عليه السلام عند ذلك فان الله تعالى قد اعطاك
بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه الارض واول
شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه بمنزله بقرطبة سنة
سبع وخمسمائة قال ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد الرحمن ثنا ابن داسة
ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس
عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة رضي الله تعالى
عنهم قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له
فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وقال انما انا عبد اكل كما

ياكل العبد ويجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقرا ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث
ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وعن انس رضي الله تعالى عنه ان امراة كان في عقلها شي جاءته فقالت
ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس
اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليها
حتى فرغت من حاجتها قال انس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة على حمار
مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة
السنخة فيجيب قال وحج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رحل رث وعليه
قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا ريا فيه ولا سمعة هذا وقد
فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها
بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى
ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى
ولا تفضلوا بين الانبيا ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم
ولو لبثت ما لبث يوسف عليه السلام في السجن لاجبت الداعي وقال عليه
الصلوة والسلام للذي قال له يا خير البرية قال ذلك ابراهيم عليه السلام وسياتي
الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله تعالى وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها والحسن وابي سعيد وغيرهم رضي الله تعالى عنهم في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم
وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه
ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم
ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضي الله تعالى عنه ان كانت

كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة
فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال دخلت السوق مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى
سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي عليه السلام
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم
ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشي احق بشيئه ان يحمله فصل
واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله
تعالى عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان
ثم اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق
كان يسمى الامين بما جمع الله تعالى فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع
ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت
عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن
الربيع بن خثيم رضي الله عنه كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في
الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله تعالى عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين
في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون
ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ
ثنا ابو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب
عن علي رضي الله تعالى عنهم ان ابا جهل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروى
غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر
فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق

ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل
عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال
النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
وفي الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها و
في حديث علي رضي الله تعالى عنه في وصفه عليه الصلوة والسلام اصدق الناس
لهجة وقال في الصحيح ويحك ومن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت
عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى
ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج وقال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
جزأ نهاره ثلاثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا
حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله تعالى
يوم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ
احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري رحمه الله تعالى
عن علي رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان
اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من
ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله تعالى برسالته قلت ليلة لغلام كان
يرعى معي لو ابصرت الى غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك
حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر
فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت فلم اقض شيئا ثم عراني

عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل واما وقاره صلى الله
تعالى عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني
الحافظ اجازة وعارضت بكتابه ثنا ابو عباس الدلائي ثنا ابو ذر الهروي ثنا
ابو عبيد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عبد الرحمن بن سلام ثنا
حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب قال
سمعت خارجة بن زيد رضي الله تعالى عنه يقول كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة
رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم تربع وربما جلس القرفصاء وهو
في حديث قيلة رضي الله تعالى عنها وكان عليه السلام كثير السكوت لا يتكلم في
غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضولا ولا تقصيرا وكان
ضحك اصحابه رضي الله تعالى عنهم عنده صلى الله تعالى عليه وسلم التبسم توقيرا له و
اقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا
تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وفي صفته صلى الله تعالى عليه وسلم يخطو
تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف
في مشيه انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله تعالى عنه ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعن جابر بن
عبد الله رضي الله تعالى عنهما كان في كلام رسول الله عليه السلام ترتيل او ترسيل
قال ابن ابي هالة رضي الله عنه كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع على الحلم و
الحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم

النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروته صلى الله تعالى
عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك
وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل واما زهده صلى الله
تعالى عليه وسلم في الدنيا فقد تقدم من الاخبار في اثناء هذه السير ما يكفي
حسبك من تقلله صلى الله تعالى عليه وسلم منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت
اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه
مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتا حدثنا سفيان بن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله
التميمي قالوا ثنا احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي قال ثنا ابو احمد الجلودي
ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو معاوية
عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله
وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله عز
وجل ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما ترك
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا
وفي حديث عمرو بن الحارث رضي الله تعالى عنه ما ترك الا سلاحه وبغلته
وارضا جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ولقد مات صلى الله
عليه وسلم وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي
اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع
يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم
الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل عليه السلام
نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول

ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق
ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها
من لا عقل له فقال له جبريل عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر
والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة وابي امامة وابن عباس
رضي الله عنهم نحوه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان صلى الله تعالى
عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس
رضي الله عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انما
كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها كان
فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه
له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه
لحاله فان وطاته منعتني الليلة صلوتي وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينام
احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى
الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي طول
ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها ولقد كنت ابكي رحمة له مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من
الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة
مالي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجد في استحي
ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي [illegible]

باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا اشهرا حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك
قال صلى الله تعالى عليه وسلم فيما **حدثناه** ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال
ثنا ابو القاسم الطرابلسي **ثنا** ابو الحسن القابسي **ثنا** ابو زيد المروزي **ثنا** ابو
عبد الله الفربري **ثنا** محمد بن اسمعيل **ثنا** يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن
ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال
رسول الله صلى الله تعالى لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في
روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا
تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى
لوددت اني شجرة تعضد **روي** هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول
ابي ذر رضي الله تعالى عنه نفسه وهو اصح **وفي حديث** المغيرة رضي الله عنه
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه **وفي رواية** كان يصلي
حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة رضي الله
عنهما **وقالت** عائشة رضي الله تعالى عنها كان عمل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق **وقالت** كان صلى الله تعالى عليه وسلم
يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم **و**نحوه عن ابن عباس
وام سلمة وانس رضي الله تعالى عنهم **وقالت** كنت لا تشاء ان تراه من الليل
مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته **وقال** عوف بن مالك رضي الله
تعالى عنه كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا
ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال

فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان
ذي الجبروت والملكوت والكبرياء ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا ال عمران ثم
سورة سورة يفعل مثل ذلك **وعن** حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه
وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وال عمران والنساء والمائدة
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باية
من القران ليلة **وعن** عبد الله بن الشخير رضي الله تعالى عنه اتيت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل **قال** ابن ابي هالة
رضي الله تعالى عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليست له راحة **وقال** صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة
وروي سبعين مرة **وعن** علي رضي الله تعالى عنه قال سالت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله انيسي والثقة بالله كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي
والرضى غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة **وفي** حديث اخر وثمرة فؤادي في ذكره
وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** اعلم وفقنا الله واياك ان صفات
جميع الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من كمال الخلق وحسن
الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها
صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله
تعالى عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم
على بعض **قال** الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض **و**قال الله
تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين **و**قد قال صلى الله تعالى عليه وسلم
ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث
على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا

في السماء وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه رأيت موسى عليه السلام فاذا رجل
ضرب اقنى كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى عليه السلام فاذا رجل ربعة كثير
خيلان الوجه احمر كانه خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف
قال عليه السلام وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث آخر في صفة
موسى عليه السلام كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط
نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة اي في كثرة ومنعة وحكى الترمذي
عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس رضي الله تعالى عنه
ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها و
احسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال الله تعالى في ايوب عليه السلام
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة
الى قوله ويوم يبعث حيا وقال الله تعالى ان الله يبشرك بيحيى الى قوله الصالحين
وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين
وقال الله تعالى في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال تعالى ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى قوله الصالحين وقال تعالى اني عبد الله
آتاني الكتاب الى قوله ما دمت حيا وقال الله تعالى يا ايها الذين لا تكونوا
كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية قال النبي عليه السلام كان
موسى عليه السلام رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث
فقال الله تعالى عنه فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وقال في
وصف جماعة منهم اني لكم امين وقال تعالى ان خير من استأجرت القوي
الامين وقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده ووصفهم

باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال تعالى فبشرناه
بغلام عليم وحليم وقال تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم
الى امين وقال تعالى ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال تعالى في اسمعيل
عليه السلام انه كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى عليه السلام انه كان مخلصا
وفي سليمان عليه السلام نعم العبد انه اواب وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم و
اسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى قوله الاخيار وفي داود عليه السلام انه
اواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال تعالى عن يوسف
عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى عليه السلام ستجدني
ان شاء الله صابرا وقال تعالى عن شعيب عليه السلام ستجدني ان شاء الله من
الصالحين وقال تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وما توفيقي الا بالله وقال تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال
تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا الآية قال سفيان
رحمه الله تعالى هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم
الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
انما الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس رضي الله تعالى عنه وكذلك الانبياء
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان عليه السلام كان مع ما اعطي من
الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس
لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله تعالى اليه يا رأس العابدين ويا ابن
محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف
فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف عليه السلام ما لك تجوع وانت على خزائن
الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج

فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له
الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان عليه السلام سال ربه ان يرزقه
عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله تعالى وقال صلى الله تعالى عليه وسلم احب الصلوة
الى الله تعالى صلوة داود عليه السلام واحب الصيام الى الله تعالى صيام داود
وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما
وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج
شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء
من ربه عز وجل ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه
وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته
فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال
انا اكرم على الله تعالى من ان يشغلني بحمار وكان ياكل الشجر ويلبس الشعر ولم
يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين
وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه
من الهزال وقال نبينا عليه الصلوة والسلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم
بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام
لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق
بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية الله تعالى
حتى اتخذت الدموع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش وياكل في
نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله تعالى
بما اكرمه به من كلامه واخبارهم عليهم السلام في هذا كله مسطورة وصفاتهم في
الكمال وجميع الاخلاق وحسن الصورة والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها
ولا نلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف هذا

هذا فصل قال المؤلف رحمه الله تعالى قد اتيناك اكرمك الله تعالى من
ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك
صحتها له صلى الله تعالى عليه وسلم وجلبنا من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع
فمجال هذا الباب في حقه عليه الصلوة والسلام ممتد ينقطع دون نفاده
الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره
في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض
ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة رضي الله تعالى عنه
لجمعه من شمائله واوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره
وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن
محمد الحافظ رحمه الله تعالى بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال ثنا الامام ابو الحكم
عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن
الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي
ابو علي الحسن بن جعفر الوحشي قالوا ثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي
قال ثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب بن الشاشي قال ثنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن
سورة الحافظ قال ثنا سفيان بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي
املاء في كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين
رضي الله تعالى عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن
ابي طالب رضي الله تعالى عنهما قال سألت خالي هند بن ابي هالة رضي الله عنه
قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن
احمد بن خداداد الكرجي الباقلاني قال واجازنا الشيخ الاجل ابو الفضل
احمد بن الحسن بن خيرون قالا ثنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن
بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به قال
ثنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين

ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما المعروف بابن
اخي طاهر العلوي قال ثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين
قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند قال سألت خالي هند بن ابي
هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجوا
ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر
من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز
شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ
من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه
من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان
دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا
سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد
موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك
اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين
والقدمين سائل الاطراف او قال سائن وسائر الاطراف سبط القصب خمصان
الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا
ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض
الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه
ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة
طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول

لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت
لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء
حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا
تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى
واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم يفتر عن
مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها عن الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته
قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت ابي عن دخول
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك
فكان اذا اوى الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزأ لله تعالى وجزأ لاهله و
جزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه
وقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم
ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والامة من مسألته عنهم و
اخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغوني
حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع
ابلاغها ثبت الله تعالى قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل
من احد غيره قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون
الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف
كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخزن لسانه
الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس
عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل

الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يميلوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه من جالسه او فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لا يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى

حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكونه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكونه صلى الله تعالى عليه وسلم على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له عليه الصلوة والسلام في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه قوله تعالى زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق هو الناصع البياض والآدم اسمر اللون ومثله في الحديث الآخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا والدقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل

قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومسيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء الصدر والبطن اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روى سائل الاطراف او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام عن النون وان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولذلك قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي مسيح عيسى بن مريم عليه السلام اي انه لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع هو رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت

وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغير الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق وقيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرن بسوء ولا تثنى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل من مكافئ على يد سبقت من النبي عليه السلام له ويستفزه اي يستخفه وفي حديث آخر في وصفه له منهوش العقب اي قليل لحمهما واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره

صلى الله تعالى عليه وسلم عند ربه سبحانه وتعالى ومنزلته وما خصه الله تعالى به في الدارين من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم لا خلاف انه عليه السلام اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله تعالى واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وقد حصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الاول

فيما ورد من ذكر مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم عند ربه تبارك وتعالى والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة

ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا
الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال ثنا ابو الحسن الفرغاني
ثنتنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن
يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى
واصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب
اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى
فاصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فانا من السابقين
وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك
قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم
على الله تعالى ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا فذلك
قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وعن
ابي سلمة رضي الله عنه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قالوا
يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متى وجبت لك النبوة قال وآدم
بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا و
اصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس
رضي الله عنه انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عائشة رضي الله عنها عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام فقال قلبت مشارق
الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ار

بني اب افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام ابمحمد
تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم اهبطني في صلبه
الى الارض وجعلني في صلب نوح عليه السلام في السفينة وقذف بي في النار
في صلب ابرهيم عليه السلام ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام
الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس
ابن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه بقوله من قبلها طبت في الظلال وفي
مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة
ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق في ابيات اخر
وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة
وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهم انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها
ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل
لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة
وقيل لي سل تعط وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع
وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة
فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن
وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم
وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم وختم بي النبوة وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه
انه قال اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني

قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي
ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت
جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله
تعالى عنهما بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب رضي الله تعالى عنه
انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل يا رب
اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك
اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت
الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك
مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه
حذيفة رضي الله عنه بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون
الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي
ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين ايدي امتي شهرا وطيب لي
ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من
حرج وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من
نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن
عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الله تعالى الي فارجو ان اكون
اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم
ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء عليهم ذهبت للحين ولم يشاهدها الا
الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة
وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا الحجج

آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله تعالى عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي
نبيكم عليه السلام اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضي الله تعالى
عنهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى قد حبس عن مكة الفيل
وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي
ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنهما سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان
آدم لمنجدل في طينته ودعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم عليهم السلام
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل
السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية
وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا فما فضله
على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الآية وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس الآية وعن
خالد بن معدان رضي الله تعالى عنه ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر
وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي الله تعالى عنهم فقال نعم انا دعوة
ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت
امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام
واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا
اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلثة رجال بطست من
ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى
مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها
ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث آخر ثم تناول

احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي
فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامرّ الآخر يده على مفرق صدري
فالتأم وفي رواية ان جبريل عليه السلام قال قلب وكيع اي شديد فيه
عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته
فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه
بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته كلها لوزنها
قال في الحديث ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا
يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية
هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله تعالى ان الله معك وملائكته قال
في حديث ابي ذر رضي الله عنه فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر
معاينة وحكى ابو محمد المكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عليه السلام
عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى وتقبل توبتي
فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله
تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية الآجري فقال
آدم عليه السلام لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن
جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي انه لآخر
النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بابي محمد
وقيل بابي البشر وروى عن سريج بن يونس رحمه الله تعالى انه قال ان
لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال

قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على
العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب
فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف
يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله
لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب
الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها
وذكر انه وجد على الحجارة القديمة لا اله الا الله محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر
السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد
جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون
ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله
وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم
من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في
سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك رحمهم الله سمعت اهل مكة يقولون
ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه صلى الله تعالى عليه
وسلم ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود
رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش
رحمه الله ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه الآية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان
ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث
فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم بما تضمنته كرامة الاسراء من
المناجاة والرؤية وامامة الانبياء عليهم السلام والعروج به الى سدرة المنتهى

المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه
وسلم قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب
العزيز وشرحته صحاح وقال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الآية وقال الله تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى
من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام
اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا
عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى
زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر
بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا
ابو العباس العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا
ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة
ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق
الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت
بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد
فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بآدم صلى الله تعالى عليه وسلم
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من
انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد
بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله
تعالى عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج الى السماء الثالثة فذكر مثل

مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله تعالى عليه وسلم واذا هو
قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر
مثله فاذا انا بادريس صلى الله تعالى عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير قال
الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله
فاذا انا بهارون صلى الله تعالى عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى صلى الله تعالى عليه وسلم فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم صلى الله
تعالى عليه وسلم مسند ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى واذا ورقها
كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله تعالى
الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة كل يوم وليلة فنزلت الى موسى عليه السلام
فقال ما فرض ربك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف
فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت
الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط
عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف
قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل
يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت
له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب له شيئا
فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته
فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رحمه الله جود
ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس رضي الله تعالى عنه ما شاء ولم يأت احد عنه

باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس رضي الله عنه تخليطا كثيرا لا سيما
من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجي الملك له وشق بطنه وغسله بماء
زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه و
ذلك قبل ان يوحى اليه وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل
قبل هذا وقد روى ثابت عن انس رضي الله عنهما من رواية حماد بن سلمة ايضا
مجي جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان
عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسرا كما رواه الناس
مجودا في المقصتين وفي ان الاسرا الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان
كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك فازاح
كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس رضي الله عنه
قال كان ابو ذر رضي الله عنه يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال فرج سقف بيتي فنزل جبرئيل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم
جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه
ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله
عن انس عن مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنهما وفيها تقديم وتاخير
وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبيا عليهم السلام في السموات
وحديث ثابت عن انس رضي الله عنه اتقن واجود وقد وقعت في حديث
الاسرا زيادات نذكر منها نكتا مفيدة وفي غرضنا منها في حديث ابن
شهاب رحمه الله تعالى وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح الا آدم وابرهيم عليهما السلام فقالا له صلى الله تعالى
عليه وسلم والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما
ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس رضي الله
تعالى عنه ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري

لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة رضي الله
عنه فلما جاوزته يعني موسى عليه السلام بكى فنودي ما يبكيك فقال رب
هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وقد رأيتني في جماعة من الانبيا فحانت الصلوة
فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني
بالسلام وفي حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس
فنزل فربط فرسه الى الصخرة فصلى مع الملئكة فلما قضيت الصلوة قالوا
يا جبرئيل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل
اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا
ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى
وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه عز وجل فقال كلكم اثنى
على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة
للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي
خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الآخرون
وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما
فقال ابرهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا
ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وانتهى
الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض
فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال الله تعالى
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه من طريق الربيع بن انس رضي الله عنه فقيل لي هذه السدرة
المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى

يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في
ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة
قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال الله تبارك وتعالى
له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال و
اعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والريح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما
سبيل فقال له ربه عز وجل قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد
حبيب الرحمن وارسلتك للناس كافة وجعلت امتك هم الاولون
وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني
ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي
لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى فاعطي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم
سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال
سبحانه وتعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل عليه السلام
في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه صلى الله تعالى عليه
وسلم رأى موسى عليه السلام في السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى
قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى عليه السلام لم اظن
ان يرفع علي احد وقد روي عن انس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى
عليه وسلم صلى بالانبياء عليهم السلام ببيت المقدس وعن انس رضي الله

الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد
ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها
مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فنمت حتى سدت
الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه
حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله تعالى علي وفتح لي باب السماء ورأيت
النور الاعظم ولط دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله
تعالى الي ما شاء ان يوحي الي وذكر البزار رحمه الله تعالى عن علي بن ابي
طالب رضي الله تعالى عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان
جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على
الله تعالى من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب
الذي يلي الرحمن فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق
اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له
من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا
في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي
على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح عليهما السلام قال ابو جعفر
محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم زاده اكمل الله سبحانه وتعالى
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض
قال القاضي رحمه الله تعالى في هذا الحديث من ذكر الحجاب

فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري سبحانه منزه عما
يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم
وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان
يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من
سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول
جبرئيل عليه السلام عن الملك الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رأيته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل
عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها
يجدون امر الله تعالى لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقائق معارفه
مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية التي كنا فيها اي اهلها وقوله فقيل
من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن
كلام الله ولكن من وراء الحجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان
صح القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير
هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه تعالى والله
سبحانه وتعالى اعلم **فصل ثم اختلف السلف والعلماء** رحمهم الله تعالى
عليهم هل كان اسراء بروحه او جسده صلى الله تعالى عليه وسلم على
ثلث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام
مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء عليهم السلام حق ووحي والى هذا ذهب
معاوية **وحكى** عن الحسن رحمه الله والمشهور عنه خلافه واليه اشار
محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة

فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما فقدت جسد
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول انس رضي الله
تعالى عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد
وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر
وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود رضي الله تعالى
عنهم والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد
والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج رحمهم الله تعالى وهو
دليل قول عائشة رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة
من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس
والى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع
التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وباظهار الكرامة له بالاسراء اليه **قال** هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على
المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح **ثم** اختلف هذه الفرقتان هل صلى
صلى الله تعالى عليه وسلم ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم
من صلوته فيه **وانكر** ذلك حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وقال والله ما زالا
عن ظهر البراق حتى رجعا **قال القاضي** رحمه الله والحق من هذا والصحيح ان شاء الله
تعالى انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار
والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة
وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال تعالى
بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما

لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد ضعفاء
من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذه من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم
الا وقد علموا ان خبره صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان عن جسمه وحال اليقظة
الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته بالانبياء عليهم السلام ببيت المقدس
في رواية انس او في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبرئيل عليه السلام له
صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال
ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء عليهم السلام فيها وخبرهم معه و
ترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى عليه السلام في
ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبرئيل عليه السلام بيدي فعرج
بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني جبرئيل عليه السلام
فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلثا
فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة فذكر
خبر البراق وعن ام هانئ رضي الله تعالى عنها ما اسري برسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة
ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء
الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم
صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين في انه بجسمه صلى الله تعالى
عليه وسلم وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه في رواية شداد بن اوس عنه
انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله

الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبرئيل عليه السلام حملني
الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم
دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلث وذكر الحديث وهذه التصريحات
ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر رضي الله تعالى عنه
عنه عليه السلام فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبرئيل عليه السلام
فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج
بي وعن انس رضي الله تعالى اتيت فانطلق بي الى زمزم فشرح
عن صدري وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسئلني عن مسراي فسألتني عن اشياء
لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله عز وجل لي انظر اليه و
نحوه عن جابر رضي الله تعالى عنه وقد روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها فصل في ابطال
حجج من قال انها رؤيا نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا قلنا قوله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله
تعالى فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس
في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه
من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد
اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قصة الحديبية
وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه
قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان

وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ يحتمل ان
اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو
نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه
قوله ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم آخر بعد
وصوله الى بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان
في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان
غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه
من مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق
ويرجع الى حال البشرية الا وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بالمسجد الحرام
ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه و
لكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء عليهم السلام حق
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله
تعالى ولا يصح ان يكون هذا في وقت صلوته بالانبياء عليهم السلام
ولعله كانت له في هذه الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر
بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية
عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية
هدبة عنه بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية
الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت
هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم
وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من
رواية شريك عن انس رضي الله تعالى عنه فهي منكرة من روايته

روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره وقبل
النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع كان
بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين
من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن
مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول
عائشة رضي الله تعالى عنها ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن
مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها
لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان
في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام
ونصف وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها في الهجرة بنت نحو ثمانية
اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام
والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد
ذلك عائشة رضي الله تعالى عنها دل على انها حدثت بذلك عن غيرها
فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث
ام هانئ رضي الله عنها وغيره وايضا فليس حديث عائشة رضي الله
تعالى عنها بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث
ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة رضي الله تعالى عنها وايضا فقد روي
في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ما فقدت ولم يدخل بها النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل
عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين
ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة

عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف
الامر الى البصر وقد قال اهل التفسير فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
اى لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه
عليه السلام ما رأته عينه فصل واما رؤيته عليه السلام لربه عز وجل فاختلف
السلف فيها فانكرته عائشة رضى الله تعالى عنها حدثنا ابو الحسين سراج
ابن عبد الملك الحافظ بقرائتى عليه قال حدثنى ابى وابو عبد الله بن
عتاب الفقيه قالا ثنا القاضى يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل الصقلى
ثنا ثابت بن القاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا عبد الله بن على
ثنا محمود بن آدم ثنا وكيع عن ابن ابى خالد عن عامر عن مسروق انه
قال لعائشة رضى الله تعالى عنها يا ام المؤمنين هل رأى محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ربه عز وجل فقالت لقد قف شعرى مما قلت ثلث
من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب
ثم قرأت لا تدركه الابصار الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة
رضى الله تعالى عنها وهو المشهور عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه
ومثله عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه انما رأى جبرئيل واختلف
عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته فى الدنيا جماعة من المحدثين و
الفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه رآه
بعينه وروى عطاء عنه انه رآه بقلبه وعن ابى العالية عنه رآه بفؤاده
مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر رضى الله تعالى عنه ارسل الى
ابن عباس يسئله هل رأى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه عليه السلام
رأى ربه بعينه روى ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى
بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردى رحمه الله

رحمه الله تعالى قيل ان الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد عليهما السلام
فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازى وابو الليث
السمرقندى الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع
ابن عباس وكعب رضى الله تعالى عنهما فقال ابن عباس اما نحن
بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته
الجبال وقال ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى
عليهما السلام فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن ابى ذر
رضى الله تعالى عنه فى تفسير الآية قال رأى النبى عليه السلام ربه و
حكى السمرقندى عن محمد بن كعب القرظى وربيع بن انس رضى الله عنه
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى
ولم اره بعينى وروى مالك بن يخامر عن معاذ رضى الله عنه عن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى وذكر كلمة فقال يا محمد
فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان
يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكى ابو عمر الطلمنكى عن عكرمة
وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود رضى الله عنه
وحكى ابن اسحق ان مروان سئل ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال
نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث
ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعنى نفس احمد و
قال ابو عمر قال ابن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته فى
الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد
اختلف فى تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود
فحكى عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى
جبرئيل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن

عطاء في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري
رحمه الله وجماعة من اصحابه انه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه
وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا
وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال
ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل
رضي الله تعالى عنه والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا
جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا
سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله
تعالى وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه
ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال له
الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب لهم مثلا
مما هو اقوى من بنية موسى عليه السلام واثبت وهو الجبل وكل هذا
ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار
لاختلاف التأويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال في
الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على
جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار
الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله
عنه وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات
لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى
لن تراني الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم

العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تأويل وايضا
فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث تتطرق
التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي
من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني
اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رأيت
لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة
لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات والفناء
فلم يكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا
قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا
لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني وهذا
كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا
قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع
في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ونفوذ
ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم وقد
ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الآيتين ما معناه ان موسى عليه السلام رأى
الله تعالى فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه سبحانه فصار دكا بادراك خلقه
الله تعالى له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر
ابن محمد رضي الله تعالى عنهما شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا
بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في
الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له سبحانه استدل من قال برؤية محمد نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم له تعالى اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية

في الجواز وليس في الآيات نص بالمنع **واما** وجوبه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي عليه السلام بذلك وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر رضي الله تعالى عنه في تفسير الآية وحديث معاذ رضي الله عنه محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني اراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيته نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى والى هذا يرجع قوله نوراني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله سبحانه قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله سبحانه الموفق للصواب

فصل **واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته** صلى الله تعالى عليه وسلم لله تعالى وكلامه معه بقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي الله تعالى الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا شذوذا منهم **فذكر** عن جعفر بن محمد الصادق رحمة الله عليه قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا عليه السلام كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري وحكوه عن

عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس رضي الله عنه في قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله تعالى دنا فتدلى قال فارقني جبريل عليه السلام فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس رضي الله عنه في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام او بارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا عليه وعليهم الصلوة والسلام **الثالث** قوله وحيا ولم يبق من صور الكلام الا المشافهة والمشاهدة وقد قيل الوحي ههنا هو ما يلقيه في قلب النبي بلا واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي رضي الله عنه في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله تعالى من الآية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجئ الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه عليهم السلام جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصل **واما ورد في حديث الاسراء** وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو

والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الآخر او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم دنى فتدلى من ربه عز وجل وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرب دنى من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يراه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه عز وجل قال فارقني جبريل عليه السلام وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس رضي الله عنه في الصحيح عرج بي جبريل عليه السلام الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه اعلم ان ما وقع في اضافة الدنو والقرب هنا من الله تعالى او الى الله تعالى فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ينزل ربنا الى السماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي رحمه الله تعالى من توهم انه

انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى ان جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المنزلة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتأول فيه ما يتأول في قوله تعالى من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول

فصل في ذكر تفضيله صلى الله عليه وسلم في القيامة بخصوص الكرامة

حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين ابن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس رضي الله تعالى عنه عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع عن انس رضي الله عنه في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله

تعالى عنه عنه عليه السلام انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه
القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انا
حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس رضى الله تعالى عنه انا
اول الناس يشفع فى الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس رضى الله تعالى عنه
قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك
يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابى هريرة رضى الله عنه
انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة
وفى حديث آخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال
انهما فى امتى يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتى وذريتى فاجعلنى
من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى
اخى ليس بينى وبينه نبى وانا اولى الناس به قوله صلى الله تعالى عليه و
سلم انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيمة ولكن
اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجاء
الناس اليه فى ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذى يلجأ الناس اليه
فى حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد فى ذلك
ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له
تعالى فى الدنيا والآخرة لكن فى الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك
فى الدنيا وكذلك لجأ الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس فى
الشفاعة فكان سيدهم فى الاخرى دون دعوى وعن انس رضى الله عنه
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق
وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا وعن
ابى ذر رضى الله عنه نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابا
من الجنة وعن ثوبان رضى الله تعالى عنه مثله وقال احدهما من ذهب و
الآخر من ورق وفى رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال
انس رضى الله تعالى عنه ايلة وصنعاء وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنه كما بين
الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض انس وجابر بن سمرة وابن عمر و
عقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى والمستورد وابو برزة الاسلمى وحذيفة
بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد
وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدرى وعبد الله بن الصنابحى وابو هريرة والبراء
وجندب وعائشة واسماء ابنتا ابى بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضى الله
تعالى عنهم اجمعين فصل فى تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار
الصحيحة واختص صلى الله تعالى عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا
ابو القاسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد بن محمد ثنا ابو الهيثم
وثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضى ابو الوليد ثنا عبد بن احمد
ثنا ابو الهيثم ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن محمد
ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابى سعيد رضى الله تعالى عنه
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر
رضى الله تعالى عنه وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله
ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما قال جلس ناس من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم

عجبا ان الله تعالى اتخذ ابرهيم من خلقه خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى عليه السلام كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر وآدم اصطفاه الله تعالى فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله تعالى اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم صفي الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع ومشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي ويدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاصطفاء وسمي ابرهيم عليه السلام خليل الله لانه والى فيه وعادى فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم عليه السلام لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى به في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر ابن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع قد بين ذلك في كتابه تعالى بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا بتسمية

ابرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الالهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابابكر لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليهما وسلم بالمحبة وقال بعضهم درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابرهيم عليه السلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله تعالى والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ۞ وبذا سمي الخليل خليلا ۞
فاذا ما نطقت كنت حديثي ۞ واذا ما سكت كنت الغليلا ۞

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا

صلى الله تعالى عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول
من الأئمة وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله حكى أهل
التفسير رحمهم الله أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار إنما يريد محمد أن نتخذه حنانا
كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه
الآية قل أطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بأمرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم
توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين وقد
نقل الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة
إشارة إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي إلى ما بعده فمن ذلك
قولهم الخليل يصل بواسطة من قوله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض
وليكون من الموقنين والحبيب يصل إليه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى
وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى والذي أطمع أن يغفر لي
خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم
لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله
والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني أن نعبد
الأصنام والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وفيما ذكرنا
تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والأحوال وكل يعمل على
شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود

قال تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني الجياني
فيما كتب به إلي بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا أبو محمد الأصيلي ثنا أبو زيد وأبو
أحمد قالا ثنا محمد بن يوسف قال ثنا إسمعيل بن أبان ثنا أبو الأحوص عن آدم
بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول إن الناس يصيرون

يصيرون يوم القيمة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان
اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله
المقام المحمود وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يعني قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة
وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فأكون أنا وأمتي على تل
ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود و
عن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام
المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلوة والسلام أنه قيام
عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون ونحوه عن كعب و
الحسن وفي رواية هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله
تعالى على كرسيه الحديث وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عنه عليه السلام خيرت
بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت لأنها أعم أترونها للمتقين
ولكنها للمذنبين الخطائين وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله
ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق
لسانه قلبه وعن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض
وسبق لهم من الله تعالى ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله تعالى أن يؤتيني
شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة رضي الله تعالى عنه يجمع الله تعالى
الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة
كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس إليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك
ولك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت

قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله تعالى عز وجل وقال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة
من الجنة وآخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم
فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون آدم وغيره بعده في الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
يعني الذي يبعثه الله تعالى فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج
الله تعالى به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين
وعن انس رضي الله تعالى عنه نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن
سلمان رضي الله تعالى عنه المقام المحمود وهو الشفاعة في امته يوم القيمة ومثله
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قتادة رضي الله تعالى عنه كان اهل
العلم يرون المقام المحمود وهو شفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه
صلى الله تعالى عليه وسلم للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين
وعامة ائمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الاخبار عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب
ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سند نظر ولو صحت لكان لها
تاويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحاح الآثار
يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا اتفقت
على المقال به امة وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة وفي رواية انس و
ابي هريرة وغيرهما رضي الله تعالى عنهم دخل حديث بعضهم في حديث بعض
قال عليه السلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة فيهتمون قال
فيلهمون فيقولون استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في

في بعض وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس
ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون
آدم عليه السلام فيقولون زاد بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله تعالى
بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء
كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله و
نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون
نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله تعالى عبدا شكورا
الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي وقال
في رواية انس رضي الله تعالى عنه ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم
وفي رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وقد كانت لي دعوة دعوتها على
قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله فيأتون ابرهيم عليه
السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا وذكر
مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى
عليه السلام فانه كليم الله وفي رواية اخرى فانه عبد اتاه الله التورية و
كلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست لها ويذكر
خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه
روح الله تعالى وكلمته فيأتون عيسى عليه السلام فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني
فاقول انا لها فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت
ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم

بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن يلهمنيه الله تعالى وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة رضي الله عنه فقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فيقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وفي رواية وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة ابن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا عليه الصلوة والسلام فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة رضي الله عنه فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه فاكون اول من اجيز يومئذ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عنه صلى

صلى الله تعالى عليه وسلم توضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع لامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انيس رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف هذه الآثار ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم رحمهم الله تعالى معناه دعوة

اعلموا انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لنبي منهم دعوة
مستجابة ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند
الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون
بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة
رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له
وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح
لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي
هريرة رضي الله عنه فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة
بالاجابة والا فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سائل لامته اشياء
من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة
ليوم القيمة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله تعالى احسن ما
جزى نبيا عن امته وصلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله
رب العالمين **فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم** في الجنة
بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتي عليهما قالا ثنا
ابو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود
ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب
عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن
العاصي رضي الله تعالى عنهما انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من
صلى علي مرة صلى الله تعالى عليه عشرا ثم اسئلوا الله تعالى لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون

انا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث
آخر عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الوسيلة اعلى درجة في الجنة و
عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل
عليه السلام ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله تعالى قال ثم ضرب
بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وعبد الله
ابن عمرو رضي الله تعالى عنه مثله قال ومجراه على الدر والياقوت
وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري
ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله تعالى اياه وقال سعيد بن جبير رحمه الله
النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله تعالى وعن حذيفة رضي الله عنه
فيما ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه واعطاني الكوثر نهر من الجنة يسيل في
حوضي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي
رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاخبار واجماع
الامة كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر وافضل الانبياء فما
معنى الاحاديث الواردة بنهيه عليه السلام عن التفضيل كقوله فيما حدثنا
الاسدي ثنا السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية
يقول حدثني ابن عم نبيكم يعني ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن

متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال يعني رسول الله
عليه السلام ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار
رضي الله تعالى عنهم وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين
الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول
ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود رضي الله عنه
لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال
له يا خير البرية فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك ابراهيم عليه السلام فاعلم
ان للعلماء رحمهم الله تعالى في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه
صلى الله تعالى عليه وسلم عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد
آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد
كذب وكذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا اقول ان احدا افضل
منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه
الثاني انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر
والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا
يؤدي الى تنقص بعضهم والغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام
اذ اخبر الله تعالى عنه ما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة
وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون
اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته
بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء
فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة

زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة
في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم
رسل ومنهم اولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي
الحكم صبيا واعطي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل العلم
والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته و
معجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واطهر او يكون في ذاته افضل واظهر و
فضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه
من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله تعالى من الطافه وتحف ولايته
واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة
اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله تعالى عليه وسلم
موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في
اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه عليه السلام
على امته وقيل قد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون
انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة
والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله تعالى عنه فان درجة
النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى
وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان
لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض وبالله التوفيق وهو
المستعان لا اله الا هو فصل في اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وما تضمنته
من فضائله عليه السلام حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه ثنا
ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح

ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وانا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى
له ان ضمن اسمائه ثنائه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه صلى الله
تعالى عليه وسلم احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من
كثرة الحمد فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس
حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال
الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما
محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته صلى الله تعالى عليه
وسلم لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يعط
غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم
في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن آخر وهو ان
الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب
وبشرت به الانبياء فمنع تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو
قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا
لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام
وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم
بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم
محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن
براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن
خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال اول من تسمى محمد محمد بن سفيان
واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ومحمد بن سواده منهم ثم حمى

ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب
يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما و
اما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في
الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض و
وعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله
تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به
سيئات من اتبعه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى
وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء وفي الصحيح وانا العاقب
الذي ليس بعدي نبي وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمي
على سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي
اي قدامي وحولي اي يجتمعون الي يوم القيمة بسنتي ومعنى قوله عليه الصلوة
والسلام لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم
من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه الصلوة والسلام لي عشرة
اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر
يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره
لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة
ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم
الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه
بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء عليهم السلام
قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون
القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه الصلوة والسلام لي في القرآن سبعة

اسمائه محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث عن
جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وماح وعاقب
وفي حديث ابو موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم
يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي الرحمة ونبي التوبة
ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله تعالى و
معنى المقفي معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة
فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه تعالى
بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين
رؤف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم و
تواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه ربه تعالى
رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل امته
امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال عليه السلام ان الله
تعالى يحب من عباده الرحماء وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الراحمون يرحمهم
الرحمن يوم القيمة ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة
فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله تعالى عليه وسلم وهي صحيحة
وروى حذيفة رضي الله تعالى عنه مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة
ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه عليه السلام انه قال اتاني ملك
فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته معلوم
وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه
كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق
المبين وخاتم النبيين والرؤف والرحيم والامين وقدم صدق ورحمة
للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم ويس وطه والنجم الثاقب
والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى

وجرى منها في كتب الله تعالى المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله
واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب و
رسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن و
الصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين و
امام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض
المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق و
الناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان
وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب
المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو
معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق
والباطل ومن اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب السالفة ماذ ماذ
ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار رحمه الله
قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الله تعالى به الانبياء والحاتم احسن الانبياء
خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه عليه السلام ايضا في
التورية احيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف
وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك
وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو الآن عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا و
اراها والله تعالى اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه
بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم
تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب كثيرة
وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروي عن انس رضي الله تعالى عنه

انه لما ولد له ابرهيم رضي الله تعالى عنه جاءه جبريل عليه السلام فقال له السلام
عليك يا ابا ابرهيم وفيما ذكرنا منها مقنع ان شاء الله تعالى **فصل في**
تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته
العلى **قال القاضي ابو الفضل** رضي الله تعالى عنه ما احرى هذا الفصل
بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها
لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج
جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه اليه
ونجمع به شمله **فاعلم** ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من
اسمائه كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم وابرهيم بحليم ونوح بشكور وعيسى و
يحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل
بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم صلى الله تعالى
على جميعهم وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بان حلاه منها في
كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال
الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها
لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلثين اسما ولعل الله تعالى
كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه
ومن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات **و**سمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود عليه السلام واحمد بمعنى اكبر
من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان رضي الله تعالى عنه بقوله وشق
له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد **ومن** اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما
بمعنى متقارب وسماه تعالى في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم **و**
من اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اي

البين امره والهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر
دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك في كتابه فقال تعالى
حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل اني انا النذير المبين وقال
تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل هو محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه
وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله تعالى
ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم **ومن** اسمائه تعالى النور ومعناه
ذو النور اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية
وسماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن
وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب
المؤمنين والعارفين بما جاء به **ومن** اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم **و**قيل
الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه عليه السلام شهيدا وشاهدا فقال انا
ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول **ومن** اسمائه
تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في
اسمائه تعالى الاكرم وسماه كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام
ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في النبي
عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التورية عن اسمعيل وسيلد
عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم **ومن** اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في كتاب داود عليه السلام بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك
وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم

حظره ونفى عنه فى القرآن جبرية التكبر التى لا تليق به صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال تعالى وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه
الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال عز وجل الرحمن فاسئل به خبيرا
قال القاضى بكر بن العلاء رحمه الله تعالى المأمور بالسؤال غير النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤول الله تعالى فالنبى خبير بالوجهين المذكورين
قيل لانه عالم على غاية من العلم بما علمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته
بما اذن له فى اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده
او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم
لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر
وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء
الطويل من رواية ربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لى
ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر
للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبدأ المقدم فى الانبياء والخاتم لهم كما قال
عليه السلام كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث ومن اسمائه تعالى
الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثنى على المطيعين ووصف
بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اى معترفا بنعم
ربى عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله تعالى

تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب و
الشهادة ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه
فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول
والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقى بعد فنائها وتحقيقه
انه ليس له اول ولا آخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى
البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم نحن الآخرون السابقون
وقوله انا اول من تنشق الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع
وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله تعالى عليه وعليهم اجمعين ومن اسمائه تعالى
القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال
ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى
الصادق فى الحديث المأثور وورد فى الحديث ايضا اسمه صلى الله عليه وسلم
بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى الولى والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلوة والسلام
انا ولى كل مؤمن وقال الله تعالى النبى اولى بالمؤمنين وقال عليه السلام من كنت
مولاه فعلى مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله
تعالى بهذا نبيه فى القرآن والتوراة وامره بالعفو فقال تعالى خذ العفو و
قال تعالى فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل عليه السلام وقد سأله عن تأويله
خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال فى التوراة فى الحديث المشهور فى
صفته عليه السلام ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى
الهادى وهو بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة

والدعاء قال الله تعالى والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر
يا هادي يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى له عليه السلام وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى
مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشاء وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره سبحانه وتعالى ومن اسمائه تعالى
المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد ومعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق
وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله و
قيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة
من عذابه وقيل المهيمن بمعنى المؤمن مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل
ان قولهم في الدعاء آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن
وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم امين
ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه
العباس رضي الله تعالى عنه في شعره مهيمنا في قوله ثم احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم
القشيري رحمهما الله تعالى وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي
يصدق وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن
ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات
الحدث وسمي بيت المقدس به لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي
المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء عليهم السلام في اسمائه
صلى الله تعالى عليه وسلم المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه

باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون
مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى
العزيز ومعناه الممتنع الغالب والذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة
ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة
فقال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقال تعالى ان الله يبشرك
بيحيى وان الله يبشرك بكلمة منه وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته
ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد
ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم فصل
قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل
واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله
تعالى جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا
من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه
بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى
لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك
عن الاغراض والاعراض وهو منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في
هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات
ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله تعالى
بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة
الا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال
ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله تعالى
عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري قوله هذا ليزيد بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع
مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله

فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ولا بمعالجة
ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه
بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني رحمه الله تعالى من اطمأن الى موجود انتهى
اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود واعترف بالعجز عن درك
حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري رحمه الله تعالى حقيقة التوحيد ان تعلم ان
قدرة الله تعالى في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه
وما تصور في وهمك فالله تعالى بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير تفسير لقوله
تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث
تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله تعالى واياك
على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه وفضله
ورحمته **الباب الرابع** فيما اظهره الله تعالى على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم من المعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات **قال** القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه حسب المتامل
ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا لطاعن في
معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن
اليها ونذكر شروط المعجزة والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل
الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم
وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير آياته
لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد
واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه
من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد
حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان
به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله ابن سلام قال لما قدم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه

وجهه ليس بوجه كذاب **حدثنا** به القاضي الشهيد ابو علي **ثنا** ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
عن ابي يعلى البغدادي **عن** ابي علي السنجي **عن** ابن محبوب **عن** الترمذي **ثنا** محمد بن بشار **ثنا** عبد الوهاب
الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد **عن** عوف بن ابي جميلة الاعرابي **عن** زرارة
ابن ابي اوفى **عن** عبد الله ابن سلام الحديث **وعن** ابي رمثة التيمي رضي الله تعالى عنه اتيت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله **وروى** مسلم وغيره ان ضمادا
رضي الله تعالى عنه لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فقد بلغن قاموس البحر هات يدك
ابايعك **وقال** جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه رأى صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ
بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة
لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا
ففعلنا **وفي** خبر الجلندي ملك عمان رضي الله عنه لما بلغه رسول رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يأمر
بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر
ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي **وقال** نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يكاد منظره
يدل على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة رضي الله عنه في هذا
المعنى لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة
والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من براهين ودلالات **فصل اعلم ان الله** جل
اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء
دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته سبحانه في بعض الانبياء عليهم السلام وذكره بعض اهل

التفسير رحمهم الله تعالى في قوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجاز ان يوحي
اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه تعالى فتكون تلك الواسطة اما من غير البشر
كالملائكة مع الانبياء عليهم السلام او من جنسهم كالانبياء عليهم السلام مع الامم ولا
ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل صلى الله عليهم وسلم بما دل
على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه
وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله تعالى والنبوة في لغة من همز ماخوذ
من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى
اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول ويكون
مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما اطلعه تعالى عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون
عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة و
مكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول
فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل الا نادرا وارساله امر الله سبحانه له بالابلاغ
الى من ارسل اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا
فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء رحمهم الله هل النبي والرسول بمعنى
بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما الارسال معا قال لا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول
الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب و
الاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول
وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا
واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل
الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي

نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح الذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل
نبي رسولا واول الرسل آدم وآخرهم محمد عليهم الصلوة والسلام وفي حديث ابي ذر رضي الله تعالى عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة
وثلثة عشر اولهم آدم عليه وعليهم السلام فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين
ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي
فاصله الاسراع فلما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه عز وجل بعجل سمي وحيا
وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز
وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا
ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء عليهم الصلوة
والسلام معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهو على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله تعالى دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن
الاتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا
على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة
ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك
على يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز له
واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين
صدقه من هذين النوعين معا وهو عليه السلام اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم
برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى
عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تحدى بسورة
منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات منه

بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات
ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن
فلا مرية ولا خلاف بمجئ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر
هذا معاند وجاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة
فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه
قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم آيات وخوارق
عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه
ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى
وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وان ذلك بمثابة قوله تعالى صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا
من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم الاحنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان
كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة
والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة
ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد
او الاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى
واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وانا اقول صدعا بالحق
ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن
نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة
فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك
على قلوب ضعفاء المسلمين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة
نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من
الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من
جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي

وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر و
لم يؤثر عن احد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم
انهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل و
المداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير
معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ
بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته صلى الله
تعالى عليه وسلم لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل
لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما
يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو
وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا ولا للطاعن
عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيوب وانباؤه بما يكون
وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا
القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله تعالى وعندي اوجب قول القائل ان هذه القصص
المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف
والا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة
على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر
فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة
وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك
بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلاة للمنفرد والامام
واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية في كل ليلة
والاقتصار في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب
النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة رحمه الله تعالى يخالفهما في هذه

المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا
عما سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى
فصل في اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله تعالى واياك ان كتاب الله العزيز منطو
على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها
حسن تأليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب
وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام وقد خصوا من البلاغة والحكم
ما لم يخص به احد من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل
الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله تعالى لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة
وقوة يأتون منه على البداهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون
بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب
ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون
فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآلي
فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون
الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص
كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة
والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول
القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة
الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون
ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا
عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا
في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا
في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه
واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت
كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة
فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا
واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها
يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا
لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ اجمعين ام يقولون افتراه قل فأتوا
بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين و
ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا
وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وقيل فأتوا
بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق
على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولذلك قيل
فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل و
بينهما شأو بعيد فلم يزل عليه السلام يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ
ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح
ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
يخادعون انفسهم بالتشغيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر
وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى بالدنية
كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز
بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا
وما قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم

الله تعالى ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من
نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين
مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر **و**ذكر ابو عبيد رحمه الله ان اعرابيا
سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد فقال سجدت لفصاحته **و**سمع آخر رجلا يقرأ
فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام
وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم
على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملها فاذا هي قد جمع فيها
ما انزل الله على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الآية **وحكي** الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله
ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله عز وجل واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا
نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين و
كون القرآن من قبل النبي عليه السلام وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلوة والسلام
متحديا به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالم بالفصاحة
ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته
واعتراف المقرين واعتراف المفترين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى
ولكم في القصاص حيوة **و**قوله عز وجل ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من
مكان قريب **و**قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم **و**قوله سبحانه وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الآية **و**قوله
تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الآية **و**اشباهها من الآي

الآي بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة
عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة
وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت
المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف
التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط
الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها
ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة
تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها
ولا معاداة لمعادها **فصل** الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب
الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه
ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا
استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم و
لم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر **و**لما سمع كلامه
صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال
والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا **و**في خبره الآخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب
بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا
مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر
قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول
ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا
شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء
وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة

حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد
سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن
الحارث نحوه وفي حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه ووصف أخاه أنيسا لقد ناقض اثني
عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وإنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم
ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وإنه لصادق وإنهم
لكاذبون والأخبار في هذا صحيحة كثيرة والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة
بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على
الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها وإلى
هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع
البلاغة والأسلوب وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه
والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه
الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم
يقول إنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه
وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن أقدار الخلق
عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن
يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله
هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وإقامة
الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدورهم وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في
التعجيز وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو
أبهر آية وأقمع دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل و
تجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الأنف وإباءة الضيم بحيث لا يؤثرون
ذلك اختيارا ولا يرضونه إلا اضطرارا وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم فالشغل

والشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة
على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد ما عنده
في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين
مياههم مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا
فانقطعوا فهذان النوعان من إعجازه

فصل الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه
من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله
تعالى ليظهره على الدين كله وقوله سبحانه وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم الآية وقوله إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت
الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما مات النبي صلى الله
عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام واستخلف المؤمنين في الأرض
ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما قال صلى الله تعالى
عليه وسلم زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي
منها وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره
وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا
على خمس مائة عام فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك
المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر
وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية وقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية و
قوله لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين
واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في أنفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله من
الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه إلى قوله وطعنا في الدين وقد قال مبديا
ما قدره الله تعالى واعتقده المؤمنون يوم بدر وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها

لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم و منه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت
بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزءون نفرا
بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا و وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك
على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة فصل الوجه الرابع ما انباه
من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة
الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه
وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله تعالى عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل
بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما
يسئلونه صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا
كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف و
ذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما في التورية و
الانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى عليهما السلام مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقي معاند
حاسد ومع هذا فلم يحك عن احد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم
على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة
سؤالهم له عليه الصلوة والسلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم و
مستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن
الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وحكم الرجم وما حرم اسرائيل
على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم
ببغيهم و قوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل
فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح
بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن

وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان
فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له قل فاتوا
بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير
ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم
اظهر خلاف قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من كتابه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال
تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن
كثير الايتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية و من الوجوه البينة
في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من
دون الناس الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة
لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه احد منهم وعن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه
فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا
على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي
من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب
اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه
اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الاية
فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه
ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم و مثله قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم تعالى انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية
ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة
التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله
وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال

تعالى ويود لو انقطع عنه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من
كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه
هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري
من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت
قال للشجى والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول
وهلة وآمن ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون
كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم
فيما جاء به من خلاف قومه فتلى عليه حم فصلت الى قوله فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة
بيده على فيه وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق
بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري
بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام
والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته
انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر
بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا
لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس
في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها
قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة **فصل** ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه
آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية وسائر معجزات الانبيا
عليهم السلام انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته
الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلثين سنة لاول

نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل
البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد
فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين
في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا
بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه
فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان
قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له
محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع
الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات
وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون
بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس
بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته
الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم
ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها
ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم
فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم
ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان
ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشأها اول مرة ولو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الآخرة
ومحاسن الآداب والشيم قال الله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال

عليه السلام ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه
نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه
هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به
اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره
اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم و
حبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج
فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن
مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين والآخرين
وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اني منزل عليك توراة حديثة
تفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع
القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان
هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى هذا
بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في
الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول
وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره
ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد
وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واوقع في الآذان واحلى على الافهام
فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه
على متحفظيه قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسائر الامم لا يحفظ
كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن متيسر حفظه للغلمان في
اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام
اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف

اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الى امر ونهي وخبر واستخبار ووعد
ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده
دون خلل يتخلل فصوله والكلام اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته
وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتأمل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار و
شقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه و
سلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملأهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم و
تعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك
الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته
بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن
نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما
ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثرها داخل
في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون
البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة
الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرناها فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن
وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق **فصل** في انشقاق القمر وحبس الشمس
قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
اخبر تبارك وتعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته
واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه
ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري
ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابي
معمر عن ابن مسعود رضي الله عنهم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش

ونحن بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرقتي
القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة
فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها
فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل
ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا
الى اهل الآفاق حتى تنظروا ارأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا
فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة
عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
رضي الله عنهم وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم فقال علي من
رواية حذيفة الارجبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه
سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا
حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين
انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد
ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه
عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي رضي الله عنهم واكثر
طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان
هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم
رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب
لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان
يطلع على الآخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول
بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي
بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير
العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون

السكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا
من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع
عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم لاحد بها وخرج الطحاوي في مشكل
الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه
ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصليت يا علي فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة
رسولك فاردد عليه الشمس قالت فرأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض
وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي
ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه
من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحق
لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا
متى تجيء فقال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار
ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث
في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه عليه السلام جماعة من الصحابة منهم
انس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقرائتي
عليه ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى
ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه
فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء
يده وامر الناس ان يتوضأوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس
حتى توضأوا من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه

او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق
ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين و
نحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود رضي الله عنه ففي
الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه
فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي
الجعد عن جابر رضي الله عنهما عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين
يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا في ركوتك فوضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون
وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس
عن جابر رضي الله عنهما وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت
عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جابر ناد بالوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي
صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها
بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر
عليه وقال بسم الله كما امره قال فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة و
استدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له
حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي ان النبي صلى الله
عليه وسلم في بعض اسفاره اتي باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة
ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن ويقومون
قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع
الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس
من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجماء

الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار
كتصديق جميعهم له **فصل** ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته
فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك انهم وردوا
العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء
ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى
الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ
ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه
اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها
فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي
بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم
وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية
فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا
بعطن وعن ابي قتادة رضي الله عنه وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم العطش في اسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله
تعالى اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل الي
انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين
وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج بهم مددا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة
قال زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون
لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفاره فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما
يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى

النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم
اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا
الا ملؤه قال عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد
حتى ملأوا ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله
وعن سلمة بن الاكوع قال النبي صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها
نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر
رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء
فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر و
عن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت
وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال
اشرب والحديث في هذا الباب كثيرة ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه فصل و
من معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه قال حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفين ثنا مسلم بن الحجاج
ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه
وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه
ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا
من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله
ان يقول وحديث جابر رضي الله عنه في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل
من صاع شعير وعناق وقال جابر رضي الله عنه فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان
برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة
وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامراته

وامراته لم يسمها قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء
ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلا ممن قدم
معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه
صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي
عليه السلام ادع ثلثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوا ثم قال ادع
ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى
اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب
رضي الله عنه اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل
يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم ثلثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي
سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم
جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك
حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله عن سلمة بن الاكوع وابي هريرة
وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك
واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا
الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه
امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين
ايدينا صحفة فاكلنا منها ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر
الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني
عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا
من الطعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب
وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له

ونا سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة فقدم لهم تورا فيه قدر مد من تمر جعله
حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور
نحوا مما كان وكانوا احدا او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها
ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فرفعته فلا ادري
حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله
عنهم ان فاطمة رضي الله عنها طبخت قدر الغداء لهما فوجهت عليا الى النبي صلى الله عليه
وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلي
ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع
قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية
دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمن بن مقرن الخبر بعينه الا انه
قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل
لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي
صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدادها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا
فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم
قال وكان الغرماء يهود فتعجبوا من ذلك قال ابو هريرة رضي الله عنه اصاب الناس مخمصة
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال
فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى
شبعوا ثم عشرة حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض
منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان رضي الله عنهم فانتهب مني فذهب وفي رواية
فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة
تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين

اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي له
وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة
اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل
فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه
وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقول لي
واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب
الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى رضي الله عنه انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه
وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله
فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي فاطمة رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد
او خمسة وذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة
رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه
وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس رضي الله عنه تزوج النبي صلى الله عليه وسلم
فصنعت ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته
وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال
ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت
كانت اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلثة في الصحيح وقد اجتمع
على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رضي الله عنهم رواه عنهم اضعافهم
من التابعين ثم من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن
التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر **فصل في كلام الشجرة**

وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم حدثنا احمد بن محمد بن غلبون
الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القسم البغوي
ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي
اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال
هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت
تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى
مكانها وعن بريدة سأل اعرابي النبي عليه السلام آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت
فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة
ان تسجد لزوجها قال فأذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في
حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته
فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى
اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى
فقال لي يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي
بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما
فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف

فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة
ابن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني
مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس
فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات
يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته
قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن
الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر
نحوا من هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاتين وعن
غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء
رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت
الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم علي وفي حديث
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له
شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود رضي الله عنهما في هذا الحديث ان الجن قالوا من
يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل
الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر
وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب
وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها
ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي
وذكر ابن فورك انه عليه السلام سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته
سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا

هناك معروفة معطلة ومن ذلك حديث انس رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام قال
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي
حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي رضي الله عنه نحوه
ولم يذكر فيه جبريل عليه السلام قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة
وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحق
رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه الصلوة والسلام
شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى اليه ان
ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى
انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت
ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر رضي الله عنه وقال فيه ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها
وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام قال لاعرابي ارأيت ان دعوت
هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه
فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين
الجذع له صلى الله عليه وسلم ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر قد خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب
وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد
وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا
الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع
نخل وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر
سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس رضي الله عنه حتى ارتج المسجد
لخواره وفي رواية سهل رضي الله عنه وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب

المطلب رضي الله عنه وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده
عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد
غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في
حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس رضي الله عنهم وفي بعض الروايات
عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان اذا صلى
النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته
الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني ان النبي عليه السلام دعاه الى نفسه فجاءه
يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله
عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى
له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله
واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت
ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله
الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا
الى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو
نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك
الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو
الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد
عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي
عن ابيه رضي الله عنهم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه اخرجه
اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره
ومن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب ثنا ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو احمد الزبيري ثنا اسرائيل
عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل
وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود رضي الله عنه كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس رضي الله عنه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر
فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر رضي الله عنه وذكر انهن سبحن في كف
عمر وعثمان رضي الله عنهما وقال علي رضي الله عنه كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبلته شجرة ولا جبل الا قال له السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل
انه الحجر الاسود وعن عائشة رضي الله عنها لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت
لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة
الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه رضي الله عنهم مرض النبي
صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم
فسبح وعن انس رضي الله عنه صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله
عنهم احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي وصديق
او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد
عبد الرحمن وسعدا وقال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه
ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال له

قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال
حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا
على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار
انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة
فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب
في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية فما اشار الى وجه
صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث
ابن مسعود رضي الله عنه وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان
الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش
ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا يسجد الا لنبي وذكر القصة
ثم قال فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم
وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه صلوات الله عليه فصل
في الايات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا
ابي ثنا القاضي يونس ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه
وجده قالا ثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا
مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا
نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين

يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين
يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي
في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه
قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وقد خاب
من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها
الراعي منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال
الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق
والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابي هريرة رضي الله عنه
وفي بعض الطرق عن ابي هريرة رضي الله عنه فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك
وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف
اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله
قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى
وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي عليه السلام
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن
اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن
الاكوع وانه كان صاحب القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد و
قد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية
مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال
الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار
فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي

مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن ابن عباس ابن مرداس لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا
طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر
بن عبد الله رضي الله عنه عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض
حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب
وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة
حتى دخلت الى اهلها وعن انس رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا انصاري
وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود
لك منها الحديث وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء
بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في البعير عن ثعلبة بن ابي مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن
مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه
النبي عليه السلام دعاه فوضع مشفره على الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء
والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي
اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شانه فاخبروه انهم
ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملوه في شاق العمل من صغره فقالوا
نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها نفسها
ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل
ولم تشرب بعد موته عليه السلام حتى ماتت ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب ان حمام
مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة الغار امر الله شجرة
فنبتت تجاه النبي عليه السلام فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر

وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه
احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا و
عن عبد الله بن قرط قرب الى النبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع
لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة رضي الله عنها كان النبي
صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال
او تفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا
رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك
وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت له انا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه الصلوة والسلام
باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها
وفي نسلها بعد وما روي عن ابرهيم حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له
اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي عليه السلام يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب
عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات
وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه
وفي العنز التي اتت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء
وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك
فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال عليه السلام ان الذي جاء بها هو
الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه الصلوة والسلام وقد قام الى الصلوة في بعض اسفاره
لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه

عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك فخرج
ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم والحديث
في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور وما وقع منه في كتب الائمة **فصل** في احياء الموتى
وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة حدثنا ابو الوليد
هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
وغير واحد سماعا واذنا قالوا ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى
ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد
بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم
بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا
ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت
قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس قال فامر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها
فقال لا وكذلك روي عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن
عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة
وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه تجاوز
عنها وفي الحديث الآخر عن انس رضي الله عنه انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالآن اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان
المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال
ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا
اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر رضي الله عنهم وفي رواية عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه دفعها الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله للذي سحره
قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروي عنه انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي سعيد

فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر منا احدا
قال القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور
واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر
او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها
وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابو بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا
ثم الكلام بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف
والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي
فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي
الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح
منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال ان الله خلق فيها
حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اوكد من
التهمم بنقل تسبيحه وحنينه ولم ينقل احد من اهل التفسير والرواية شيئا من ذلك فدل على
سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروي
عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله
وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى
مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي
باذن الله تعالى فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت
ان اردك عليهما فقالت لا حاجة لي بهما اني وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس رضي الله عنه
ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم فقالت
اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى رسولك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه

هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن
عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه
حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم
فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة
المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا
فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب
الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثم قال السلام عليك يا رسول الله
ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات قال اخبرنا
ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا ابو اسحق الحبال قال ثنا
ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن
اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قالوا
قالوا قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني
السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه
حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن
قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق
على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى
النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري
قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد
نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع
وقد كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب الاسنة اصابته استسقاء فبعث الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها
متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن

حبيب بن فديك ويقال فريك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين
ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل
على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث
على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرأت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها
السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق
اذ انكسرت فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فجعل يدعو فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع
ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجاء يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها
فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه
وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول
الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة
فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل
فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه
القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت
قليلة الحيا فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا
فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحيا ما لم تكن امرأة بالمدينة اشد حيا منها

فصل في اجابة دعائه عليه الصلوة والسلام وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي
صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر في الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد

ولده قال حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود
نا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس
ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله
ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم
احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول
سقطا ولا ولد ولد ومثله دعاؤه عليه السلام لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن
فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل
بل صولحت احديهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته
الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت
عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا لمعوية بالتمكين في
البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا
استجيب له ودعا في عمر وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس
في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعا فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا
في الاستسقا فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت
له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش
عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه
التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه
فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا مثله
لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال
البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقد ايضا وندت له
ناقة فدعا فجاء بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة رضي الله عنه فاسلمت ودعا

لعلي رضي الله عنه ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب
الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل
بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة
فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى
استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه
فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة
ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع
فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله الاسد وقال لامرأة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود
في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم
قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي
صلى الله عليه وسلم اي لا قرأه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن
جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه
بالحجارة وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي عليه السلام فرد الفرس بعد النبي
صلى الله عليه وسلم على الرجل فقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شائلة
برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به **فصل** في كراماته وبركاته وانقلاب
الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد ثنا ابو ذر الهروي وحدثنا القاضي ابو علي
سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا ابو الوليد القاضي ثنا
ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا يزيد بن زريع
ثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره يبطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا
فكان بعد لا يجارى وحبس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك
بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من

الى نسلها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت
شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن
اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي
القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا
نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان
رضي الله عنه ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول
وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس فلم
يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل
هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن
والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي
صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا
هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسألونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا
فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان المراضيع فيجزئهم ريقه
الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة
ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام النبي عليه السلام
وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة
فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة
الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده
مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة
من سويق شرب اولها وشربت آخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت
وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا

وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى
سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد
فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد
في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد
وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير
كقصة شاة ام معبد واعنز معوية بن ثور وشاة انس رضي الله عنه وغنم حليمة رضي الله عنها
مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكانت لم ينز عليها فحل وشاة
المقداد رضي الله عنه ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس
عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد
منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو
وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي
ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده
عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح على
وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في
وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى
بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة
من الجمال ما بها ومسح على راس صبي به عاهة فبرا واستوى شعره وروي مثله في خبر
المهلب بن قبالة وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤوا واتاه رجل به ادرة
فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله

صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس الجنون ومج في دلو من
بئر ثم صب فيها ففاح منها رائحة المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه
الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكى اليه ابو هريرة
النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما
يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل
فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير و
كان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما **فصل** ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب
وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة
على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب
حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر ثنا ابو علي
التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا
جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل
وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوا
والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه
ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة
ما اعلم به اصحابه عليه السلام مما وعدهم من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن و
الشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة
ستغزى ويفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف وسلوك سبيل من قبلهم
وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانه ستكون لهم انماط ويغدو

احدهم في حلة ويروح في اخرى ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى وتسترون بيوتكم
كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطا
وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم
الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب
قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل
فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب
من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته
ما زوي له منها ولذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى
المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم يمتد في
الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم
الساعة ذهب به ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالغرب وهي الدلو وغيره
يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخرجه من رواية
ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله
وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية ودولة
معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود
وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل
علي رضي الله عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من رأسه وانه
قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبية
وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال بقتل عثمان وهو يقرأ المصحف
وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى
فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي رضي الله عنهما
وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت
على عائشة رضي الله عنها عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله

فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس
وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم
ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة رضي الله عنهم آخركم موتا في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها و
قال في حنظلة الغسيل سلوا عنه زوجته فاني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه
خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد فوجدنا رأسه يقطر ماء وقال الخلافة
في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب
ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به
وانذر بالردة وان الخلافة بعده ثلثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن
بن علي رضي الله عنهما وقال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا
عضوضا ثم يكون عتوا وجبروة وفسادا في الامة واخبر بشأن اويس القرني وبامراء يؤخرون
الصلوة عن وقتها وسيكون في امته ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث آخر
ثلثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك
ان يكثر فيهم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد
ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون
وقال لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش
قال ابو هريرة راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية
والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم
يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشأن الخوارج
وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس الناس
والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب
لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد

من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا
بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما
رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم
من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم
اليمامة واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة
وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب
الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم
فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه
فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي
ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن
ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك
اقوام ويستضر بك آخرون واخبر بقتل اهل موتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر و
ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه سولا من كسرى
بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده
في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت
منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه لحوقا به اطولهن
يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة
وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد
وقال في الذين كانوا معه على حرا اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي
وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا البست سواري
كسرى فلما اتي بها الى عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما
سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن

خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد
هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما
واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك
قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم
وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت
هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام الى ما اخبر به جلساؤه من
اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين
حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته
حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة
في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد
على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني
هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال عليه السلام
ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسرا ونعته اياه نعت من
عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان ذلك
كله كما قال عليه السلام الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد منها ما ظهرت
مقدماتها كقوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب
خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وآيات حلولها وذكر
الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا
الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت
الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة والله ولي التوفيق

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاه

قال الله تعالى
والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله
بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك

المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر او قال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية اخبرنا
القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري
قالا ثنا ابو الحسين الصيرفي قال ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا ابو العباس
المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد
عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها
فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي
وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت
هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله
عليه وسلم عفى عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه
الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين
وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور
بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا
له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت وفيه نزلت يا ايها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية وفي رواية الخطابي
ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو
قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها
بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت
يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد

عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانما يطأها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها
بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن
نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاصي تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا
رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى
صلوته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت
بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح فقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم
على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة
والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام
على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم
في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف
حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت
حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة
بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه
واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها فاستقسم
بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت و
ابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى
ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله
عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم
ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما هنا وقيل بل قال لهما اراكما

وعوتما على فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر ان راعيا عرف
خبرهما فخرج يشتد ليعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى
رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون
ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان
يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه
عن شأنه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا لأخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم
ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم
حتى دنوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين ومن
ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم
فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة
واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين
قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي
صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام
كأنه يريد حاجة حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد
قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب
منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق
مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه
الصلوة والسلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم
كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه
قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى

الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب
الخلق الي وقال لي ادن وقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي
تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمير اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم
عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث
به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها
حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس
حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه
انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك
بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره

فصل

ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه الصلوة والسلام
ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع
على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده
ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية
من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم
وصفات اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة
من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت
علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ
فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها
والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض
والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع التي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته
على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم
شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه

واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث
وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار
اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب
والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه الصلوة والسلام
فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه الصلوة والسلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل
طائر وقوله الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان
وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما
روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة
وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم
به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى
وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن الى
قوله فان كان لابد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن
سبأ ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة
الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها
بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب ونابها ومذحج
هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في
حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان
وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة
او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع
انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف
الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق
ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معوية انه كان يكتب بين يديه

يديه عليه الصلوة والسلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين
ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه الصلوة
والسلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله عليه وسلم
بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك
حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله
ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن
بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس
والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرأ
ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور
ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الاية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان
وانما ذلك لهم بعد التفرغ لذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة
من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة
في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله تعالى
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان
الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من
القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله
عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة
وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان
بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان
او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم
مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم
وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوبه

طلبه وقوة جسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته
كفعل النضر بن الحارث بما كان يخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه
ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره
وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل
فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم و
لا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان
بعد هذا كله لكان مجيء ما اتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر

فصل ومن خصائصه عليه الصلوة والسلام وكراماته وباهر آياته وانباؤه مع الملائكة والجن
وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه وجبريل الآية وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم
فثبتوا الذين آمنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم الآيتين وقال واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاص الفقيه سماعا
عليه ثنا ابو الليث السمرقندي ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن
سفين ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع
زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته
له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل عليهما السلام وغيرهما من الملائكة
وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من
اصحابه في مواطن مختلفة فرأى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام
ورأى ابن عباس واسامة بن زيد رضي الله عنهم وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية
ورأى سعد رضي الله عنه على يمينه ويساره جبريل وميكائيل عليهما السلام في صورة رجلين
عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر ورأى بعضهم
تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا
بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران

عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه و
رأى ابن مسعود رضي الله عنه الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن
سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير
واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله
عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال صلى الله
عليه وسلم نغمة الجن من انت فقال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي
نوحا عليه السلام ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من
القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها
عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه الصلوة
والسلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلوتي فامكنني الله منه فأخذته فاردت ان
اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا وهذا باب واسع **فصل** ومن
دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء
اهل الكتب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد
في ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن الحارثة وكعب بن لوى
وسفين بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به
من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء اليهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل مما قد جمعه العلماء
وبينوه ونقله عنهما ثقات ممن اسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين ومخيريق
وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصغاطر وصاحب بصرى
واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن
اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب

مصر وشيخ صبا وابن صوريا وابن أخطب وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء
اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء والشقاء والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع يهود
والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف
ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم للمباهلة على الكاذب فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم
من كتبهم إظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار
ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب
وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وأفعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز
وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف
الجن ومن ذبائح النصب وأجواف الصور وما وجد من اسم النبي عليه السلام والشهادة له بالرسالة مكتوبا في
الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم **فصل** ومن ذلك ما ظهر
من الآيات عند مولده صلى الله عليه وسلم وما حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عندما وضعته
شاخصا ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص
من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه
الصلوة والسلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
إلى قصور الروم وما تعرفت به حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة
شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده صلى الله عليه وسلم من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط
شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان إذا أكل
مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا وإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون
شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت أم أيمن حاضنته ما رأيته صلى الله عليه وسلم
اشتكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق
السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في
ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط
إلى الأرض حتى رد إزاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال إني نهيت عن التعري ومن ذلك إظلال الله تعالى له

بالغمام في سفره وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه
رأى ذلك منذ خرج معه في سفره ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة
فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرفت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة إليه
في الخبر الآخر حتى أظلته وما ذكر من أنه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على
جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره بالمدينة وفي
بيته وأن بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه
وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله
ونداؤهم الذي سمعوه أن لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة أهل بيته عند
موته إلى ما ظهر على أصحابه من كراماته وبركاته في حياته ومماته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته
فصل قال القاضي أبو الفضل قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته
مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين
الغرض وفص المقصد ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة
وحذفنا الإسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات
عدة ومعجزات نبينا عليه السلام أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند
نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من
الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله تعالى وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض
أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت
معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه
أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو أقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه
وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات
إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف
جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم إعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء
من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه وفيه وجوه إعجاز أخر من الأخبار

بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز
فتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد
يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه عليه السلام
في هذه الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله
عليه وسلم فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى
عليه السلام غاية علم أهل السحر بعث إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم
ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون
عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء
عليهم السلام ثم إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة
فأنزل القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم
الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه و
من الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر
عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كانت أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا
ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء
والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز عن تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها
وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة
إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيب
على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان
وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين و
إن كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار عليه السلام بقوله فيما حدثنا القاضي
الشيخ أبو علي ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحق وأبو الهيثم قالوا ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر
وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند
بعضهم وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث
وظهور معجزة نبينا عليه السلام إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه
ولا التشبيه فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء
السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر ولا التخييل
فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب أن يكون شاعرا أو
خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الجفن عليه
ويغضي ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها أو
على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن
الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في
مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس
والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته
وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا أبلغ
في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا
أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي
للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على
المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام عن الناس
مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر
دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للعذر
عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك
بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا

المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار
بعذر غلط افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى
واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب
بالاصنام الى الله تعالى زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسل بدليل عقله وصفاء لبه فلما جاءهم
الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم
ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم في نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح
له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها
ما يغني عن كوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين وهو حسبنا ونعم الوكيل **القسم الثاني**
فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام **قال** القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام
في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه في سنته وطاعته ومحبته ومناصحته
وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره **الباب الاول** في وجوب الايمان به ووجوب طاعته
واتباع سنته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان
به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا **وقال** انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية فالايمان بالنبي
محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا **حدثنا** ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه **ثنا** الامام ابو علي
الطبري **ثنا** عبد الغافر الفارسي **ثنا** ابن عمرويه **ثنا** ابن سفيان **ثنا** ابو الحسين **ثنا** امية بن
بسطام **ثنا** يزيد بن زريع **ثنا** روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله تعالى **قال** القاضي ابو الفضل رحمه الله والايمان به هو تصديق نبوته ورسالة الله
تعالى له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه
رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به و

والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية ابن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام اذ قال اخبرني
عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام
ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان
والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحالة المحمودة التامة واما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق
القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك
ضميرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه
اذ لم يكن معهم ايمان ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان
في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام
اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم
ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل عليه السلام الشهادة
من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم
قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به ورآه بعضهم
مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى
ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه **الثانية** ان يصدق
بقلبه ويطول مهلة وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة واحدة فهذا اختلف
فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال وهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى
يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا
بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف
صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط
هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرناه غنية فيما قصدناه ان شاء الله تعالى **فصل** واما وجوب

طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم
عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول لعلكم ترحمون الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
باذن الله فجعل طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته
بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم
لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليهم وقالوا من يطع الرسول في سنته
يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام فقال وما اتيكم الرسول فخذوه
وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول
فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري
ثنا عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزهري قال اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة
يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ
الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم
تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني
وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من
اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني
الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا فالنجا
طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب
ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا

داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل
من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد
عصى الله ومحمد فرق بين الناس **فصل** واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى
قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية وقال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع
لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال
سهل في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم
الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم
وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما
قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية وروي
ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله
فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم
اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته و
يقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة
العبد لله تعالى تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه
عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد
في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا ابو الاصبغ عيسى
بن سهل وثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا محمد بن حاتم قال ثنا ابو حفص
الجهني ثنا ابو بكر الاجري ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ثور

ابن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية
في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث
جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته
يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي
حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه
فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القرآن صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن
وحديثي خسر الدنيا والآخرة امرت امتي ان يأخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي
بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وقال عليه السلام
من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلثة وما سوى ذلك فهو فضل
آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن رحمهما الله قال النبي عليه السلام
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك
بها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر
مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على
ثلث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي
وعن انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم قال من احيى سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي
وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي
قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة
ضلالة لا يرضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا فصل

فصل واما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو
موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم
بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من
آل خالد بن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر
في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم
شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة
الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها
ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل
في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن
فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين
فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني
انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن لادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني
لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود
يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلوة السفر ركعتان من خالف السنة كفر
وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت
عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده
من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها
ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد
في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء
وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة
او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم

الحق فلا اتبعهم وعن عطا في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل
فقال لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان
الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة
قال سهل التستري اصول مذهبنا ثلثة الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق
والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجا في تفسير قوله تعالى
والعمل الصالح يرفعه انه الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي ان احمد بن حنبل
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الما فاستعملت الحديث من كان يومن بالله و
اليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر
فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال
جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان
والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين
نوله ما تولى الآية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراتي
عليهما قالا ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو الحسن بن مسرور
الدباغ ثنا احمد بن ابي سليمان ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابو القسم ثنا مالك عن
العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير
الضال فانادي لهم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا
فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني
وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي

عن النبي صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت
عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وانما حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وجي بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا
او قال ضلالا ان يرغبوا عما جا به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه الصلوة والسلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان
تركت شيئا من امره ان ازيغ الباب الثاني في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة
وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه الصلوة والسلام اذ قرع
الله تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني
الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قالوا ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا
ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم
ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يومن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه وعن
انس عنه صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي
التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر
والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في
ملكه عليه الصلوة والسلام لا يذق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب
اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه ثنا ابو القسم حاتم بن

محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا ابي ثنا
شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما
اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان
بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت
يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن
وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر
حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها
لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله
عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك
الله بتفضيله فانزل الله الآية وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة فصل فيما روي عن السلف والائمة
من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي
ثنا ابن سفين ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله
عن ابي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو
ابن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي
الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن
قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك
ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه
حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب كيف كان حبكم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا واباءنا وامهاتنا ومن الماء
البارد على الظمأ وعن زيد بن اسلم قال خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز
تنفش صوفا وتقول على محمد صلوة الابرار ۞ صلى عليه الطيبون الاخيار ۞ قد كنت قواما بكا بالاسحار ۞
يا ليت شعري والمنايا اطوار ۞ هل تجمعني وحبيبي الدار ۞ تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر
يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك
يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال
واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي
لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن
الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا
الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن
في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس
احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة اذا
اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض
وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت
والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من
احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب
النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع
اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه
ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه
على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر
اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة و

واسقط العباد في رضا الله تعالى حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قول عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحبه وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم قد قتلوا احباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله

ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف
مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كانه التفت
الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب
عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ايثار
المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب
يحب ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة
اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته
له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة
واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله و
قلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة
والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم
لقوم والتشيع من امة في آخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس
او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من
احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه الصلوة والسلام فعلمت انه
عليه الصلوة والسلام جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال
الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه
وانعامه على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته
اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين
واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم
عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه صلى الله

صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة
بما ذكرناه آنفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة
او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد
من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته
او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع
هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته
عليه الصلوة والسلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة
انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه **فصل** في وجوب مناصحته عليه الصلوة والسلام قال الله
تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا
الفقيه ابو الوليد بقرائتي عليه ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد المؤمن
ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن ابي صالح
عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم
قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان
البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة
واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه
وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ
من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله سبحانه وتعالى
صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في
محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه
وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له والتفهم له والتفقه فيه والذب عنه من تأويل
الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به

ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحيا سنته
بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابرهيم
اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته
ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال
احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح
اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال
دونه كما قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله
الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة
على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة اهل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف
عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر
على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه
وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت
ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في
الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم
عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح
لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل
وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار وجلب المنافع
اليهم **الباب الثالث** في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال
يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق

صوت النبي الثلث الايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب
تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه وقال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه
تبالغون في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز
ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو
اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا
عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال وغيره من امر
دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم
وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم
وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت
فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال
ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض و
لكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله
في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين قال غيره
لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل
نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج علينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم و
كان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله ثم اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول
وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا
وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله
لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند
رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله
عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك
قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين
هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها
ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال
وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة
ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا **فصل** في عادة الصحابة رضي الله عنهم
في تعظيمه عليه الصلوة والسلام وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بكر الاسدي
سماعي عليهما في آخرين قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى ثنا ابرهيم
ابن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا ثنا الضحاك
ابن مخلد انا حيوة بن شريح ثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو
ابن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه
ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه
بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة
ابن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته
اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام
القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا
ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم
فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا

ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال
يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا
في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه
وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه
واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف
بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى
يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخر سنين من هيبته **فصل** واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته وتوقيره لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته
وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابرهيم التجيبي واجب
على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في
هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله تعالى به قال القاضي
ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه
قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث ثنا ابو الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن
احمد بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب ثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل ثنا
ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الآية وذم

قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها
أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم
القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية
وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج
حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه
فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه **وقال** مصعب بن عبد الله
كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل
له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر
وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد
وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال
إما مصليا وإما صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين
يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر
إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد
كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في
عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك وما عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه
وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك
الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث
النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول

ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله **فصل** في سيرة
السلف في تعظيم رواية حديث النبي صلى الله عليه وسلم **حدثنا** الحسين بن محمد الحافظ **ثنا** أبو الفضل
ابن خيرون **ثنا** أبو بكر البرقاني وغيره **ثنا** أبو الحسن الدارقطني **ثنا** علي بن مبشر **ثنا** أحمد بن
سنان القطان **ثنا** يزيد بن هرون **ثنا** المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال
اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه
حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق
يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما قريب من ذا **وفي**
رواية فتربد وجهه **وفي** رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه **وقال** إبراهيم بن عبد الله
ابن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدث فجازه وقال إني
لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم
وقال مالك جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل
وددت أنك لم تتعن فقال كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع
وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع
وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على
وضوء إجلالا له **وحكى** مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس
إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث **قال** مصعب
فسئل عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** مطرف كان إذا أتى الناس
مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا
المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس
ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال
يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال** غيره ولم يكن يجلس على تلك
المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** ابن أبي أويس فقيل لمالك في
ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة

شمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست
عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس
وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته
عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له
انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن عمار سأل مالكا عن حديث وهو
واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني
سياطا ويزيد في حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما
طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ولا يحدث الا على طهارة
وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم
وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه السلام وسلكه السلف الصالح
رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم الآية و
قال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله
ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثني ابي ثنا
حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن اسمعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن
مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدكم الله واهل بيتي ثلثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل
وآل العباس وقال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا كتاب الله
وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة
من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء
معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم و

وحرمتهم بسببه وعن عمرو بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
الآية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم
قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما
نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء
اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه
وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن آذى عمي فقد
آذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته
وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة
الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان يأخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني
احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده
لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب
الله من احب حسنا وحسينا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله و
قال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن
عقبة بن الحارث قال رأيت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه
بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت عمر
بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله
عز وجل ان اراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته
ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا
يفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا
ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي فقيل له هو محمد بن اسامة
فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم

لاجله وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها
بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك
لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة الآف ولاسامة بن زيد
في ثلاثة الآف وخمس مائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال
له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك
فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة
يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه
وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان
مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس
فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت
فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور
اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل
لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدأت
بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب
الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس رضي الله عنهما ماتت فلانة لبعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وكان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم
بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت على ابي بكر فصنع لها
مثل ذلك فصل ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم و
الاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم

عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة
في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج
لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم و
فضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال
تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي ابو علي
ثنا ابو الحسين وابو الفضل ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا
الحسن بن الصباح ثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش
عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق
احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله و
الملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال
في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي
منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب
عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة
وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وقال
من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك
خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني
من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء

حب الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثنا على اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
واخاف ان لا يصعد له عمل الى السما حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك اني راض عن عمر
وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس
ان الله تعالى غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم
احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن
عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية
صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل
فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم في
الانصار اعفوا عن سيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري
فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن
تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي كنت له حافظا
يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض
ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي
هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع
لهم وبذلك امره الله وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم
وروي عن كعب وليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة و
طلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول
من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام
مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه الصلوة والسلام او عرف به وروي
عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت
الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه

وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل
فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب
بركتها وتقع في ايدي المشركين ورأى ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول
استحيي من الله ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب
للشافعي رضي الله عنه كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل
هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة
انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس
بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له
قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة
وفي الصحيح انه قال صلى الله عليه وسلم في المدينة من احدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وحكي ان جهجاها الغفاري
اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح
به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم من حلف
على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة
زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ۞ ولما راينا رسم من لم يدع لنا فوادا
لعرفان الرسوم ولا لبا ۞ نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ۞ لمن بان عنه ان نلم به ركبا ۞ وحكي
عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشأ يقول متمثلا
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ۞ قمر تقطع دونه الاوهام ۞ واذا المطي بنا بلغن محمدا ۞
فظهورهن على الرجال حرام ۞ قربننا من خير من وطئ الثرى ۞ فلها علينا حرمة وذمام ۞
وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق ياتي الى باب مولاه
راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي قال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي

والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها
بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله
وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات
ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين
ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة
واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان يعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها
وجدراتها يا دار خير المرسلين ومن هدى الانام وخص بالآيات عندي لاجلك لوعة وصبابة
وتشوق متوقد الجمرات وعلى عهد ان ملأت محاجري من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات لولا العوادي والاعادي زرتها
ابدا ولو سحبا على الوجنات لكن سأهدي من جميل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات وتخصه بزواكي الصلوات
ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه ان الله
وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل
الصلوة الترحم فهي من الله عز وجل رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى
وقد ورد في الحديث صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم
ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله
عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلوة
تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل وقد فرق
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة
فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير
نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك
من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند

وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدرا
كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون السلام هنا
اسم الله الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم ان
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة
والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه
الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة
كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي
ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان
يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه
ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها
ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة
قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد مذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة
في عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله تعالى به ورسوله عليه
الصلوة والسلام هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى
الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الآخر وقبل السلام فصلوته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك
لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها
من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر
يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك
تارك فصلوته مجزئة عنه في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب

الرأي وغيرهم وهو قول جل أهل العلم وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة وأن
تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فأوجب على تاركها في الصلوة الإعادة وأوجب إسحاق
الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم
وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي
وحكى أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب
وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي وليست بواجبة
في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ولا أعلم له قدوة والدليل على أنها ليست من فروض
الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسألة
جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي
هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير
لم يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد قال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد
على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلوة لمن
لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف أهل الحديث كلهم
رواية هذا الحديث وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة
لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم يقبل منه قال الدارقطني الصواب أنه قول أبي جعفر محمد بن علي
ابن الحسين لو صليت صلوة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم

فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد
الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه
قال ثنا الإمام أبو القاسم البلخي ثنا الفارسي عن أبي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن أبي عيسى الحافظ قال
ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة بن شريح ثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو

بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في
صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره
إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء
ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو أصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلوة
معلق بين السماء والأرض ولا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن
علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال وعلى آل محمد
وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود إذا أراد
أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب
فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى شراب شربه أو الوضوء توضأ
وإلا أهراقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب
وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق
أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب
وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء
بين الصلوتين لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلوة على صعد
الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إني أسألك أن تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من
خلقك أجمعين آمين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه أو كتابه أو عند الأذان وقد قال
صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند
الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال أصبغ
عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله
ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية له مع الله وقاله أشهب قال ولا ينبغي أن تجعل الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم

الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق
ابن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله
ويبارك عليه وعلى آله ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا
خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال
ابن عباس المراد بالبيوت ههنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على
رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن
علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل
المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم
والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة
انها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث
عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال
صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب
ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم خلف بن
ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت ثنا ابو الهيثم ثنا محمد
بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم
اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول

التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان
يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما
عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين
سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة واحب
للماموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليكم فصل في كيفية الصلوة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر
الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي ابو الاصبغ ثنا ابو عبد الله بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد وغيره
قالوا ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو
ابن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته
كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابرهيم في العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت
على ابرهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه
اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه
قالا ثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال ثنا ابو بكر المطوعي قال ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر
بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد
عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى
آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد

اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على
محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد
النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية
زيد بن خارجة الانصاري سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة
الكندي كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات
اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم
لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ الجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا
في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس
الاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام
نائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين
وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات
له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم
مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق
عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
وملائكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين
والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن
عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي
اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد وكان

الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل
اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره
واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس
انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سوله في الاخرة
والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط
محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسئول له الى يوم القيمة
وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه
فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد
وما يوثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم
هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله السلام على انبياء الله
ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين والمومنات
من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي
وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلوة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة
ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر وبن عبد البر وغيره الى انه
لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة
وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت
على ابرهيم وآل ابرهيم ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي و
رحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له

حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر بن معوية ثنا النسائي اخبرنا سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال لي اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود انه قال صلى الله عليه وسلم اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاءت الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلوتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول فاجعل صلوتي كلها لك قال اذن تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا اتاني ببشارة من ربي ان الله بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله وملائكته عليه بها

بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم علي وفي آخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابي بكر رضي الله عنه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر الله له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يتقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة

وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه
صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا
عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون
فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى
ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في
المجلس اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه الصلوة والسلام بتبليغ صلوة
من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر
الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة
عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن
ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن
صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله تعالى ملائكة سياحين في الارض تبلغوني
عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى
به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلوته علي حين يفرغ منها
وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلوتكم تبلغني وعن ابن عباس
ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله
عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم
فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة علي
وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك
اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي
في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي
الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا فصل في الاختلاف في

الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام قال المؤلف رحمه الله
عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه لا تجوز
الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال
سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى
على احد من الانبياء سوى محمد عليه الصلوة والسلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال
مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء ولا ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا
قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث
ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله
قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال تعالى
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم
قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي
آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده
وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم
من آل محمد فقال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله تعالى به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل
قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد
الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي
والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر وروى ابن وهب عن انس بن مالك قال كنا ندعو
لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل

ويصومون بالنهار قال المؤلف رحمه الله والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك
وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلي
على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص الله تعالى
عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم لا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله تعالى به بقوله
صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته
الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من
ذلك وذكر الصلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه
لا على التخصيص قالوا وصلوة النبي صلى الله عليه وسلم من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة
ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار ابي المظفر
الاسفرايني من شيوخنا وبه قال ابو عمر بن عبد البر فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلوة
والسلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام
سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
وكره مالك رحمه الله ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك
فقيل كراهية الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده
قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل

لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة
وليس هذا عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى والاولى
عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم لم يكره لقوله عليه السلام
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة
هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم
الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود
الذي كان يستند اليه وينزل جبريل عليه السلام بالوحي فيه عليه وبمن كان عمره وقصده من الصحابة
وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا
انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم
قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له
حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة
اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد
من الشام قال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى
ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك رحمه الله في رواية
ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو
ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو
ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يسلم على القبر رأيته مائة
مرة واكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي
ثم ينصرف وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر
وعمر رضي الله عنهما قال مالك رحمه الله في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي

ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي رحمه الله وعندي انه يدعو للنبي بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهم من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله عليه الصلوة والسلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة افضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تأتي مسجد قبا وقبور الشهداء وقال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل ويقول اذا خرج اللهم اني اسئلك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين رحمه الله كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله عنها ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم وذكر مثل حديث فاطمة رضي الله عنها قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة رضي الله عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي

صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقيل له ان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة او المرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول سعيد بن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله

عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت
قال رجل من ثقيف فقال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة
لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك
كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون
ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول
عليه السلام الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره
رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منا وقال ابو هريرة رضي الله
عنه عنه عليه السلام صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي
اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية
اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة في سائر المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول عليه
السلام عليه بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو
قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومالك رحمه الله واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل
مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي
وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا
بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة رضي الله عنه
وفيه وصلوة في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروي قتادة
رضي الله عنه مثله فياتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد
بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي
يقتضيه الحديث مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب

الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى
ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في
تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري
على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر
مع انه روي ما يبينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا
الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات
ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه
الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور
عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض
الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة
تحت ظلال السيوف والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي و
روي ابن عمر رضي الله عنهما وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على
لاوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة
خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة
رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله
يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيمة وعن ابن عمر رضي الله عنهما
عنه صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال
تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار
وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا ولجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت
مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة
قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض اللون فقال لعله حج ثلث حجج قالوا
نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثالثة حرم الله شعره

وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك
واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله
وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وحشر يوم القيمة من الآمنين قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله قرات على القاضي الحافظ
ابي على رحمه الله حدثك ابو العباس العذري قال ثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي ثنا
الحسن بن رشيق قال سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد يقول سمعت ابا بكر محمد بن ادريس
سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس
رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا
استجيب له قال ابن عباس رضي الله عنهما وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشيء في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس رضي الله عنهما الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي وانا فما دعوت
الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد
ابن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي
وقال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر
الآخرة وقال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب
لي وقال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وانا ارجو من سعة فضله
ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان
لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب
برحمته **القسم الثالث** فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه او يجوز عليه وما يمتنع
ويصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله

من قبله الرسل افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية وقال ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد الآية
فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق
الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي
لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنهم مخاطبتهم اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته
اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله واصطفاه
وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته و
ملكوته وظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من
الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من
اوصاف البشرية متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها
غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا
الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم
كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن
مع الملائكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل
عند ربي يطعمني ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة عن النقائص والاعتلالات وهذه
جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ناتي به بعد هذا ان
شاء الله تعالى في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب الاول** فيما يختص بالامور
الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم قال القاضي ابو الفضل

رضي الله عنه اعلم ان الطوارى من التغيرات والافات على آحاد البشر لا تخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الافات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القطعية وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات التي تقع على الاختيار وغير الاختيار كما سننبه ان شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته **اعلم** منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله تعالى وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم عليه السلام في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة بمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته **الوجه الثاني** ان ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله او لم تؤمن اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك **الوجه الثالث** انه سأل زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حالة **الوجه** الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا **الوجه** الخامس قال بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية **الوجه** السادس انه اري من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم

ابرهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه **فان قلت** فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس وغيره لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل **و**نحوه عن ابن جبير والحسن رضي الله عنهما **و**حكي قتادة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسئل وعامة المفسرين على هذا **و**اختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية **وقيل** المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره **و**مثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير **قال** بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله الآية وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره **و**مثل هذه الآية قوله الرحمن فاسئل به خبيرا المأمور هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل **وقيل** ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرءون الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما دعي من التوحيد والشريعة **و**مثل قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتيبي **و**قيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام **ثم** ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن الى آخر الآية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي **و**قيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد **و**قيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم

انما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين اى فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر فى
اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اى قل لمن امترى يا محمد فى ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله فى
اول الآية افغير الله ابتغى حكما الآية وان النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله
تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت فى
شك فاسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت فى شك مما شرفناك وفضلناك به
فاسئلهم عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك وحكى عن ابى عبيدة رحمه الله ان المراد ان كنت فى شك
من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة
التخفيف قلنا المعنى فى ذلك ما قالته عائشة رضى الله عنها معاذ الله ان يظن ذلك الرسل بربها
وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا
اكثر المفسرين وقيل ان الضمير فى ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس
والنخعى وابن جبير وجماعة من العلماء رضى الله عنهم وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك
من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد فى حديث السيرة
ومبتدا الوحى من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضى الله عنها لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك
فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشى ان لا تحمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحى فينخلع قلبه
او تزهق نفسه هذا على ما ورد فى الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك
واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدايه المنامات
والتباشير كما روى فى بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا فى المنام ثم ارى فى اليقظة مثل
ذلك تانيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية و
فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة
قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو فى غار حراء الحديث وعن ابن عباس رضى الله عنهما
مكث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا
وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وذكر

جواره بغار حراء قال فجاءنى وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة فى غطه
له واقرائه له اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عنى وهببت من نومى كانما صورت فى قلبى ولم يكن
ابغض الى من شاعر او مجنون فقلت لا تحدث عنى قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلا
طرحن نفسى منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادى من السماء يا محمد انت رسول الله
وانا جبريل فرفعت راسى فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين فى هذا ان قوله لما
قال وقصده لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره
واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل رضى الله عنه انه عليه السلام قال لخديجة
انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة
رحمه الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضى الله عنها انى لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى
ان يكون بى جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله فى بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون
والفاظا يفهم منها معانى الشك فى تصحيح ما رآه وانه كان كله فى ابتداء امره وقبل لقاء الملك
واعلام الله له انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله له ولقائه
الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القى اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان
يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة رضى الله تعالى عنها
واختبارها امر جبريل بكشف راسها الحديث انما ذلك فى حق خديجة رضى الله عنها لتحقق صحة نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذى ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبى
صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد فى حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة
عن هشام عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفى حديث
اسمعيل بن ابى حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرنى
بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقى وذكر الحديث الى آخره
وفيه فقالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل انها مستثبتة
لما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبى صلى الله عليه وسلم وقول معمر رضى الله عنه فى

فترة الوحي يحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا
من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله
عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب
من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح
معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان
المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على
ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها
المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل
ذلك بنفسه ولم يرد بعد نهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب
قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه
ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل
حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه بالعقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه
بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على
الاستفهام ولا يليق ان يظن نبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك رضي الله عنهم وغيرهما لا لربه
مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء عليهم السلام
وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك
فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني
فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا له وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ارسال يونس
ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم و
انبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى
وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذن قبل نبوته

نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي
طريق فاستغفر الله في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة
او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله
من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق
الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة في اليوم
اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى
غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر
وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل
الامانة وهو في كل هذه في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق
عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه
واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها
غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث
واشهرها والى معنى ما اشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه
وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما
سياتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة من المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره
ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون
الغين ههنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
عليه السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف
للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان
تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام يغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة
لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل
ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين

مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقد قال لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك
ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في آية نبينا عليه السلام
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله
حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء
والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في آية منهما
دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألن
ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة
السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب
لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى
معناه مكي وكذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم في الآية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا
يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة
محمد صلى الله عليه وسلم اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا
الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه
لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلام على ذلك ان فعله وتحذيره
منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة الآية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من
في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت
رسالته وقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك
انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك به ولا ان يتقول
على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة
والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى
قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا انني معكما

معكما ليشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس
واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه
ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك عن سبيل الله فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله
فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذا
حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين
فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل
النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا
ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه
في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا من الناس
نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم
بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما
افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة
ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم
عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما
كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما
سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه
الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك الآية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال
فطهره الله في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به

ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك وغيره من الذنوب هذا مما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى
كلامه فكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال
هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشبه عليك
بقول ابرهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر
والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال
ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا
ربي وقال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد
شيئا من ذلك ولا اشرك بالله قط طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت
فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في
ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت
فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد
عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك
لفظة العود وانها تقتضي انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام
العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا
قبل ذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله
ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها
قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم
ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال
ههنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه
الله الى الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن له ضلالة معصية

معصية وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى
المدينة وقيل ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في
الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن بن علي ضال فهدى اي اهتدى بك وقال
ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي
محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا
قوله انا لنريها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد رحمه الله ووجدك متحيرا في بيان ما انزل
اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى
اظهرك الله فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان وكذلك
في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا
بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري رحمه الله معناه من الناسيين وقد قيل ذلك في قوله
تعالى ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما فان قلت فما معنى
قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري
قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان
الذي هو الفرائض والاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن
يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده
عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع
ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده
باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل رحمه الله جدا وقال هذا موضوع
او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق
على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت
الي الاصنام وقوله في قصة بحيراء حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى
اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي وراى فيه علامات النبوة فاختبره
بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما

فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسئلك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من
سيرته عليه السلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان
يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابرهيم عليه السلام

فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما
ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة
والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار وعني بالحديث وتامل ما قلناه وجده
وقد قدمنا منه في حق نبينا عليه السلام في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه
الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق الانبياء العصمة
من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ همتهم متعلقة
بالآخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شاء الله
تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون
عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم
وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة
ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم
ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك
منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل
عليه منه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث
ام سلمة رضي الله عنها اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه شيء خرجه الثقات وكقصة
اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا
هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليهم الخطأ في الاجتهاد لا على القول
بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر بان الحق في طرف واحد
لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين

المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم
ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد
عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم
جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن له ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي
في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على
التحقيق ورفع الشك والريب وانتفى الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل
الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت
السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى وآياته الكبرى وامور الآخرة واشراط الساعة
واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم
فيه لا يأخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع
تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله عليه السلام اني لا
اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول
موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم
اسالك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك
او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن
اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته لا يحاط بها ولا منتهى لها

فصل حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية واعلم
ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى
ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن
خيرون العدل ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل الصفار ثنا عباس
الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفين عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه
من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم

زاد غيره من منصور فلا يأمرني إلا بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه وروي فأسلمُ بضم
الميم أي فأسلم أنا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فأسلمَ يعني القرين أنه انتقل عن
حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني آدم فكيف
بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في كل
موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين
كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره ففي الصحاح قال أبو هريرة رضي الله عنه
عنه عليه السلام إن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة
فأمكنني الله منه فذعتّه ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت
قول أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا وفي حديث أبي الدرداء عنه
عليه السلام إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم
في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت أخذه وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا
يتلاعب به ولدان أهل المدينة وكذلك في حديثه في الإسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه
جبريل ما يتعوذ به منه وذكره في الموطأ ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه
كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة
أخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم
الآية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله أمره وعصمه ضره وشره وقد
قال عليه السلام إن عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في
الحجاب وقال عليه السلام حين لُدّ في مرضه وقيل له خشينا أن يكون بك ذات الجنب فقال
إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطها علي فإن قيل فما معنى قوله وإما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الآية فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى قوله وأعرض عن الجاهلين
ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل
النزغ هنا الفساد كما قال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي وقيل ينزغنك

يغرينك ويحركنك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه غضب على عدوه
أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ منه
فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة
عليه وقد قيل في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه
لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي أن ما يأتيه من الله
الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله أو ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته فإن قيل فما معنى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى
الشيطان في أمنيته الآية فاعلم أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل منها السهل والوعر
والسمين والغث وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين أن التمني ههنا التلاوة وإلقاء
الشيطان فيها شغله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه
أو يدخل غير ذلك في أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف
لبسه ويحكم آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء الله تعالى وقد حكى
السمرقندي إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يصح
وقد ذكرنا قصة سليمان عليه السلام مبينة بعد هذا ومن قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له وقال
أبو محمد مكي في قصة أيوب وقوله أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد
وشراب أنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك
إلا بفعل الله وأمره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل إن الذي أصابه الشيطان ما وسوس به إلى
أهله فإن قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع عليه السلام وما أنسانيه إلا الشيطان وقوله تعالى
عن يوسف عليه السلام فأنساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلوة
يوم الوادي إن هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم أن
هذا الكلام قد يرد في جميع هذا مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان
أو فعله كما قال تعالى طلعها كأنه رؤوس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله
فإنما هو شيطان وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه إذ لم يثبت له في ذلك

الوقت بنبوة مع موسى عليه السلام قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه لا
نبي بعد موت موسى عليه السلام وقيل قبيل موته وقول موسى عليه السلام كان قبل نبوته بدليل
القرآن وقصة يوسف عليه السلام قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله
انسيه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك
اي انساه ان يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان
ليس فيه تسلط على يوسف عليه السلام ويوشع عليه السلام بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما
بامور آخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد به شيطان
فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك
الشيطان اي بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في
ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها
على سبب النوم عن الصلوة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه
وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله عليه السلام فقامت الدلالة الواضحة بصحة المعجزة على صدقه
واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به
لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا واما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول
الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك
فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط
وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي
ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة ولا نطول بذكره فنخرج
عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ
الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد
لا في حال الرضا والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قلت يا رسول الله
اكتب كل ما اسمع منك قال نعم اكتب عني كل ما سمعت مني قلت في الرضا والغضب قال نعم

نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا
قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام
قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم و
ابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم و
ما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف
مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل
فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات
منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ والنجم وقال افرأيتم اللات والعزى ومنوة
الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية
ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى
فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض
الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لو نزل
عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر
هذه القصة وان جبريل عليه السلام جاء فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك
بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الآية وقوله وان كادوا ليفتنونك الآية فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على
مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما المأخذ الاول
فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع
به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق
القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق
بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل
يقول انه قرأها في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة وآخر يقول

قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة لصحة الحديث معه واما حديث الكلبي فمما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان او يشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي عليه السلام من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الآية ووجه ثان وهو استحالة

استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا مما لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذا ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القصة ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد ان يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب وقال اكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل وقال ابن الانباري رحمه الله ما قارب الرسول

ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله يرد
سفسافها فلم يبق في الآية إلا أن الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار
وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته وهو مفهوم الآية وأما المأخذ الثاني
فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله تعالى من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب
عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي
صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم
وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه
ولا يستولي الشيطان عليه في النوم ولا يقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من
جميع العمد والسهو إجماعا وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال
ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما
أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح أن يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا
ولا أن يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته
على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله
بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلمتين ثم رجع إلى تلاوته وهذا ممكن
مع بيان الفصل بين الكلامين وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهذا أحد ما ذكره
القاضي أبو بكر ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلوة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه
الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات
محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبي
صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها
الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان وعيبها على ما عرف منه وقد
يكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه

هذه الفتنة وقال الله تعالى في هذه التسلية وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية
فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي
الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس عنه ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه
وسلم من السهو إذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا التأويل نحو قول الكلبي في الآية أنه
حدث نفسه وقال إذ تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو
في القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن
بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو وينبه عليه ويذكر به للحين على ما
سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه
القصة والغرانقة العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة
العلى وإن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة العلى أنها
الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون من الأوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم
ورد عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة
من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة تلك
اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان
في إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به
إلا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
إن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له
قلوبهم الآية وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى و
مناة الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين
ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا
ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه

فسلاه الله عن حزنه بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الآية وبين للناس الحق من
ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم آياته ودفع ما لبس به العدو وكما ضمنه تعالى من
قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه
وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا فذهب
مغاضبا فاعلم اكرمك الله انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال
لهم ان الله مهلكهم وانما فيه انه دعا عليهم بالاهلاك والدعا ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه
قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم
قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الاخبار انهم
راوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود رضي الله عنه وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب
كما يغشي الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وسار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا
حيث اريد كان يملي علي عزيز فاقول علي حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له
النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له اكتب
عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس رضي الله
عنه ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد كافرا وكان يقول ما يدري
محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل
الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مومن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد
وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما
هو اعظم من هذا الافترا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو
كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرو عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة
انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يومنون بآيات الله
واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها من حديث انس رضي الله عنه وظاهر حكايتها
فليس فيه ما يدل على انه شاهده ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال

وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من
ثابت قال القاضي ابو الفضل ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت وحميد والصحيح
حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول
شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح
ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه
ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم
حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين
مما نزل على الرسول عليه السلام قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل
عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته
كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام الحسن الى ما
يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام
لعبد الله بن ابي سرح كل صواب ان صح فقد يكون فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان
انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احدهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته
بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذكرها كما قدمناه فصوبها له النبي
صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع
الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور
وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست في المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في
غير المقاطع قرا بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها
ويقضي الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا
وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن
فيصف الله ويسميه في ذلك الكتاب كيف شاء فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ واما
ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد
ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم

ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من
ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف
واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله
والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد
في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق
اليهودي على عمر رضي الله عنه حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم واحتج عليه عمر رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر
فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال له عمر رضي الله عنه كذبت يا عدو الله
وايضا فان اخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى في تفاصيلها ولم يرد
في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان
ذلك لنقل كما نقل من قصته رجوعه عليه السلام عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان
ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين
فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون الي
الحديث وقوله عليه السلام اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في
هذا الباب والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباههما وايضا فان الكذب متى عرف
من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم
يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة و
وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية و
الاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة
منه فيما يستشنع ويستبشع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع
هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب
تنزيه النبوة عن قليله وكثيره وسهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين و
تصديق ما جاء به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع

فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا
بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ
نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان
ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال عصر النبي صلى الله
عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا
من الآثار فيه في الباب الثاني في اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت
فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي **حدثنا** به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر
ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهيل قال **ثنا** حاتم بن محمد **ثنا** ابو عبد الله بن الفخار **ثنا** ابو
عيسى **ثنا** عبيد الله **ثنا** يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد
انه قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر
فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن **وفي رواية** اخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته
فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض
ذلك يا رسول الله **فاعلم** وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف و
منها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث
وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة
النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل
في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على
احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه
اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق
باطنا وظاهرا **و**اما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه

فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله
ولم انس راجع الى السلام اى انى سلمت قصدا وسهوت عن العدد اى لم اسه فى نفس
السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ
من قوله كل ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه
مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت وما نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا وكل من هذه
الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها وقال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه
والذى اقول ويظهر لى انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذى نفاه
عن نفسه وانكر على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسى وبقوله
فى بعض روايات الحديث الآخر لست انسى ولكن انسّى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة
ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شىء من ذلك
فقد نسى حتى سأل غيره فتحقق انه نُسّى واجرى عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل
ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نُسّى ووجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ
وذلك انه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال
لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل قال فكان النبى صلى الله عليه وسلم يسهو فى صلاته
ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما فى الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا
ان تحقق على هذا المعنى لم يكن فى قوله ما قصرت وما نسيت خلف فى قول وعندى ان قوله صلى الله
عليه وسلم ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذى هو احد وجهى النسيان اراد والله اعلم انى لم اسلم
من ركعتين تاركا لاكمال الصلوة ولكنى نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسى والدليل على
ذلك قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح انى لانسى او انسّى لاسن واما قصة كلمات ابرهيم
عليه السلام المذكورة فى الحديث انها كذبات الثلث المنصوصة فى القرآن منها اثنتان قوله
انى سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختى فاعلم اكرمك الله ان هذه
كلها خارجة عن الكذب لا فى القصد ولا فى غيره وهى داخلة فى باب المعاريض التى فيها مندوحة
عن الكذب اما قوله انى سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اى ان كل مخلوق معرض

معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر على
من الموت وقيل بل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه
عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق
وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التى كانوا يشتغلون
بها وانه كان اثناء نظره فى ذلك وقبل استقامة حجته عليهم فى حال سقم ومرض حال مع انه
لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف فى استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة
ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكواكب والشمس والقمر ما نصه الله تعالى
وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال
ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله
اختى فقد بين فى الحديث انك اختى فى الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون
اخوة فان قلت هذا النبى صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم عليه السلام
الا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة
الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
اشفق ابرهيم عليه السلام من مؤاخذته بها واما الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف فى القول وانما هو ستر مقصده لئلا يأخذ
عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض
بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن
والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اى
الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل
عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع فى هذا
الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضى الله عنهما هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان
جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه
ومعتقده كما لو صرح به لان حاله فى النبوة والاصطفا تقتضى ذلك فيكون اخباره بذلك

ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم ما تقتضيه
وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور
اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان
موسى عليه السلام اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى
وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم
اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي
به فيه من لا يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه
ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة
سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به وانا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين
بنبوة الخضر لقوله فيه انه اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبياء فيتفاضلون
في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان
يكون فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه السلام نبي غيره
الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس
على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض
الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه **فصل** واما ما يتعلق
بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام واعتقاد
بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش
والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر
ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف
انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة منه
المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم
على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد

وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل
وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين
من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر واشكال ذلك **وقول**
ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة
الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري تعالى في اي امر كان يجب كونه كبيرة **قال** القاضي ابو محمد عبد
الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر
اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر
رحمه الله وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء **وقال** بعض ائمتنا ولا يجب على القولين
ان يختلف انهم معصومون على تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة
ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم منه
الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه
والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن
اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل
بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم
مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة رحمهم الله من غير التزام
قرينة بل مطلقا عندهم وان اختلفوا في حكم ذلك **وحكى** ابن خويزمنداد وابو الفرج عن مالك
التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق
وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب و
ذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة
ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم
اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح
ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام

مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم
دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ
تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر و
النهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه
كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم
حين خلع صلى الله عليه وسلم واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت
المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم قالت عائشة رضي الله عنها
محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه الصلوة والسلام على الذي
اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما شاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده
والآثار في هذا اعظم من ان نحيط بها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداءهم
بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر
عليه السلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها
قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم من الامم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به
من رفيع المنزلة وشرحت لهم صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله
والدار الآخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم
وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذا السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا
منه اول الكتاب طرفا في خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا و
على سائر انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة من وجه المخالفة
ورسم المعصية **فصل** وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم و
جوزها آخرون والصحيح ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب
الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر
الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا

متبعا للشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا
القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي
وتقرير الشريعة ثم اختلف حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق
الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان
ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيره ولفخر به
اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا
قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة
واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت طائفة اخرى بالوقف في
امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها
في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا
هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم
ثم اختلف هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات
الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر و
ابعدها مذهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في
ان عيسى عليه السلام آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام
بل الصحيح انه لم تكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام ولا حجة ايضا للآخر في قوله تعالى
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وللآخر في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فمحمل هذه الآية على
اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث
ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله
تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه
من التوحيد وعبادة الله وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر
الانبياء غير نبينا عليه وعليهم السلام او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله
ولم يختلف نقله من منعه في كل رسول من غير تفرقة بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما

تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله
من الانبيا فليلتزمه بمساق حجته في كل شي **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال
عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو
والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال
الانبيا في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سوا **ثم** ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ
وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا
مما يختص بنفسه **اما** الاول فحكمه عند جماعة من العلما حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا
الاتفاق من العلما على امتناع ذلك في حق النبي عليه السلام وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا
فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول
من جهة التبليغ والادا وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا
عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا ان شا الله تعالى والى هذا مال ابو اسحق وذهب
الاكثر من الفقها والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن
غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال
البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها **واما** السهو في الافعال
فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما
قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا
في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن
بل قد روي لست انسى ولكني انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة
بعيدة عن سمات النقص واعتراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل
لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل
انقراضهم على قول الآخرين **واما** ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص
به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علما الامة على جواز السهو والغلط
عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة

ومعاناة الاهل وملاحظة الاعدا ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور
كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شي يحط من رتبته و
يناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام جملة
وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد
هذا ان شا الله تعالى **فصل** في الكلام على الاحاديث المذكورة فيها السهو منه عليه السلام قد
قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة و
في الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا
الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في
الصلوة ثلثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة
في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا
وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ
بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع
الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام
غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني **وقال** رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن **ويروى** انسيتهن **وقال**
عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن **قيل** هذا اللفظ شك من الراوي **وقد** روي اني لا انسى
ولكن انسى لاسن **و**ذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي
انسى انا او ينسيني الله **قال القاضي** ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة
وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشي والسهو او انسى مع
اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال
والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله

عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى ولكن انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لا انسى او انسى لاسن وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة من طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلوة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء في ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله تعالى من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان تكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم

اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر فلا تصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قلت فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل في هذا البحث للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الادلة

على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها ان
شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
وقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله تعالى عبس و
تولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص الله تعالى من قصص غيره من الانبياء عليهم السلام
كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا الاية وقوله
تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله تعالى عن يونس عليه السلام سبحانك اني كنت
من الظالمين وما ذكره من قصته وقصة داود عليه السلام وقوله تعالى وظن داود
انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله تعالى ولقد همت به وهم
بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال
هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت و
اخرت واسررت واعلنت ونحوه من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء عليهم السلام في
الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين
مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني الاية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال تعالى عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وقوله تعالى ولقد فتنا سليمن الى ما اشبه هذه الظواهر قال القاضي رحمه الله
فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون
فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل
المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة و
المتأخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد
ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك

لابيك آدم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي
قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله
عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و
ما تأخر الاية وبمآل المؤمنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله عنهما فمقصد الاية
انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان وقال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من العيوب واما
قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول
ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت
ظهرك حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي وقيل اي حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك
حتى شرعنا لك ذلك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ
عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله
عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق
منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة
او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه
واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى
نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا
من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا
وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى فأذن لمن شئت منهم
فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل
وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب
عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف
كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة قال

بل هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله
واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب
للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا
لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله
تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لغرض الدنيا وحده
والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي
عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق واختلف المفسرون في معنى
الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون
امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به
الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين
بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في
اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له
لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك
وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال
خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم
فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم
مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم
ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري
وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من
تصويب رأيه ورأي من اخذ بأخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه
القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم
يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت

ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر
اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه في هذه الآية ان تأويله وافق
ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي
صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن
الله اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ
من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله تعالى عبس وتولى الآيات فليس فيه
اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف
لك حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان
طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك
اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل
اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام وقوله
تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه
تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره
بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله
اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس
رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما
اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي
عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد
قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم
هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها
لا تسكر واذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج
الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة

ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء
والهدى كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول
نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل
تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى
وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي
الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس عليه السلام فقد مضى
الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد
تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب
ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل
ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على
قول مرغوب عنه وقوله اذ ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين
فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه
بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه
فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا
ومثل هذا قول آدم وحوا عليهما السلام ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع
الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب
ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله عن بعض المفسرين
ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه
الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى
قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك
واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله في الدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه
من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه
قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب

ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين واما قصة يوسف عليه السلام واخوته فليس على يوسف
فيها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن
عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبئ من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف
ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا عليه ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع
ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى
برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله صلى الله
عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب
المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من
همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف عليه السلام من هذا
ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع
والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف
لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال
الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الآية قيل في ربي الله
وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها
اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن
الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه
واما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان
من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى عليه السلام
وقال قتادة رضي الله عنه وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا
من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي
ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه
قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا

اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء وقيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه
في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم
فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل
في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه
فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لم يجب له
اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى عليه السلام دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها
وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه حينئذ علم انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله له فلما جاءه بعد
ذلك واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا
اسدها عندي وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة
وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف
واما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه
ابتليناه وابتلاؤه بما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة
او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله
فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات والقي على
كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من
الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان
يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله
الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان
الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان
في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي

نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده
في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه
مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له فضيلة وخاصة يختص بها
كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة
الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى عليه السلام واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا
واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك
فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه
انه ليس من اهله الذين وعدهم بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق
الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا التأويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه
على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه
وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله واقدامه
بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل
فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان
هذا النبي اتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح
الله تعالى الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار
الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال
تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه
وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى
الله اليه بالتوبة والاستغفار منه فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب
والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر
في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم
واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة

والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف
منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها
ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها واتوها على وجه التاويل
او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص
بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل
ومنه ذنب كل شيء اي آخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوأ ما يجري
من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح
والفواحش ما يكون بالاضافة الى هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة
فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان
تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته
وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانسيه الشيطان
ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره
لسيده الملك قال النبي عليه السلام لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار
لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسي قلبي كثرة
البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة
مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه
اذا كان الانبياء عليهم السلام يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته
وحالهم ارفع فحالهم اذن في هذا اسوأ حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة في
هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم
ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى
وقال لداود عليه السلام فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك على

الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب وقال بعض المتكلمين زلات
الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم
من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم
فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله
من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام وايضا فيقال لهم
فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبائر
فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم و
خوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال
السهو والتاويل فقد قيل ان استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على
وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال عليه السلام
وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما
اتقي قال الحرث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم آمنون وقيل
فعلوا ذلك ليقتدي بهم وتستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء
محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء
الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة
وقد قال الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته وكونه
على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع
واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله
قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة

قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة و
استمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد
ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور
احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه
فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد
ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط النبي صلى الله عليه وسلم على الرجلين اللذين
رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه
الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم
وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها
في اصول الفقه وتبنى عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء
في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول
الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه
وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال
الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول فيه وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي
فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز
وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري
هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع
حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة
الملائكة فصل في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة
المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق
الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة

طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الآية وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته الآية وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى
ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها
ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم
الرفيع عن جميع ما يحط رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار بان
لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء
من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ها هنا
فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار
ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك
الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو
شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم
فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم بذلك على سليمان عليه
السلام وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيم وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء
هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او
انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان
من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله
كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم
انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا
فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة
وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال
نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد

على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا
انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في
تلك الاخبار وقول خالد لم يزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما قال مكي و
تقدير الكلام وما كفر سليمن يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود و
ما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا عمله على سليمن
فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما
رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام
ويكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود
وسليمن عليهما السلام ويكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه
السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب
الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم
ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه
من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان
آدم عليه السلام ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن
الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب
سائغ وقد قال تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا
الله تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس
في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا نشتغل بها والله اعلم الباب الثاني فيما يخصهم في
الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل
من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع
كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم
منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر
بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب و

الضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا
رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق
بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب
غيره من الانبياء ما هو اعظم منه فقتلوا تقتيلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه
الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعض الانبياء من الناس فلئن لم يكف نبينا
ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش
عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن
الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام
حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليتحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع
الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى
عليه السلام بن مريم وليكون في محنتهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي
احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغيرات المذكورة انما تختص باجسامهم
البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا
عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد
قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف
جسمه وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه
بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام
في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار انه كان محروسا من الحدث في نومه
لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية
جملته وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني قال القاضي رحمه الله وكذلك اقول انه عليه السلام في هذه الاحوال كلها من وصب و
مرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري

عيره من البشر مما ياخذ بعد في بيانه **فصل فان قلت** فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر
كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا محمد بن
احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبيد بن اسمعيل قال ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل
الشيء وما فعله **وفي رواية** اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان ياتي النساء ولا ياتيهن الحديث واذا كان
هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فكيف جاز عليه وهو معصوم
فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملاحدة وتذرعت به لسخف
عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم
عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر
ولا يقدح في نبوته **واما** ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة
في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا
فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر
البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان **و** ايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث
الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن **وقد** قال سفين وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات في
خبر منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات **وقد**
قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة **هذا** ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة على هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى
كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن
ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه
عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره
ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عائشة رضي الله عنها سنة فبينا هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه الحديث **قال**
عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها خاصة سنة حتى انكر بصره فقد استبان

لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في
بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن
اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن
كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفين بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة رضي الله
عنها في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه
راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره
لا لشيء طرا عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابته بالسحر وتاثيره فيه ما يدخل عليه لبسا ولا يجد به الملحد المعترض حجة
فصل هذا حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف
امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفين بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة قالوا **ثنا** ابو العباس احمد بن عمر قال **ثنا**
ابو العباس الرازي **ثنا** ابو احمد بن عمرويه **ثنا** ابن سفين **ثنا** مسلم **ثنا** عبد الله بن الرومي وعباس
العنبري واحمد المعقري قالوا **ثنا** النضر بن محمد قال **حدثني** عكرمة **ثنا** ابو النجاشي **ثنا** رافع بن خديج
قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه
قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم
فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رايي فانما انا بشر وفي حديث انس رضي الله عنه انتم اعلم بامر دنياكم **و**في
حديث آخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن **و**في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الخرص
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما
انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل
نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر
قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة فقال لا قال فان هذا
ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت
بالراي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة
فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة

ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها
من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة
مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله
التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواترت بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم
من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا
الكتاب **فصل** واما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم
المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من
بعض فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار
حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله **ثنا** الحسين بن محمد الحافظ **ثنا** ابو عمر **ثنا** ابو محمد **ثنا** ابو بكر **ثنا** ابو داود
ثنا محمد بن كثير **اخبرنا** سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة رضي الله عنها عن ام سلمة رضي الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض
فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف
ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده
ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر
الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله ومقاطعه وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة
سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه
في تلك القضية لحكمه هو اذن في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى
الله احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل
احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ
وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر
والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك
عنه من علم الغيب الذي استأثر عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه
بما يشاء ويستأثر بما يشاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته **فصل** واما اقواله

اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف ممتنع عليه في كل
حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه عليه السلام معصوم منه هذا فيما طريقه الخبر المحض
مما يدخله الصدق والكذب **فاما** المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد
المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره **و**كما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب
المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحبيبهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله لامرأة التي سألته عن زوجها
اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض **و**قد قال عليه السلام اني لامزح و
لا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز
عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه **وقد** قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف
ان تكون له خيانة القلب **فان** قلت فما معنى اذن قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه
امسك عليك زوجك الآية **فاعلم** اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا
بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن الحسين
رضي الله عنهما ان الله تعالى كان اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد
قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله
مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها **وروى** نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه وصحح هذا قول المفسرين
في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره
معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى **و**قوله تعالى في القصة
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر **قال** الطبري
ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل له مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله سنة الله في الذين خلوا من قبل
اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة رضي الله عنه من وقوعها من قلب النبي
صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه
من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء
قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله فكيف يقال

رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوّجها لزيد
وإنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ونحوه لابن فورك وقال أبو الليث
السمرقندي رحمه الله فإن قيل فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بإمساكها فهو أن الله أعلم نبيه أنها زوجته
فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها إذ لم تكن بينهما ألفة وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد
خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته كما قال تعالى لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وقد قيل كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن
هواها وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن
ونظرة الفجأة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيدا بإمساكها وإنما تنكر تلك الزيادات في القصة والتعويل و
الأولى ما ذكرناه عن علي بن الحسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وأن خشيته
عليه السلام من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه
بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له كما عتبه على
مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك قوله له ههنا وتخشى الناس والله
أحق أن تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه
الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه **فصل** فإن قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في أقواله في جميع
أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى
ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله
قال ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد
ابن إسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق عن همام عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث
وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية

هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله
حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب
لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله
عليه وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه
معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان
أو اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في هذا الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر
هجرا إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على
من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم
وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا
رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام
والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله
عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل
لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله يعصمك
من الناس ونحو هذا وأما رواية أهجر وهي رواية أبي إسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم
من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم باختلافكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد
اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر
النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام
لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما
اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر رضي الله عنه ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع
عمر رضي الله عنه إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل
عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر رضي الله عنه
أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأوفق بالأمة في تلك الأمور

سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم عمر رضي الله عنه تقرر الشرع و
تأسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي و
قول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان
عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل
كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم و
كره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القضية بقول العباس لعلي رضي الله عنهما
انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله
لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير اي ان الذي انا فيه خير من ارسال الامر
وترككم وكتاب الله وان يدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفين ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا
ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه
فايما مؤمن آذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي
رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته
او لعنته او جلدته فاجعلها له زكوة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم
من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند
الغضب وهو معصوم عن هذا كله **فاعلم** شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي
عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه
السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا له لشفقته على امته ورأفته
ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه وفعله
له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل

مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما
لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه
او كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله
وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب
وليس المراد بها الاجابة كقوله عليه السلام تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد
في صفته في غير حديث انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا وقال انس رضي الله عنه لم يكن سبابا ولا فحاشا ولا لعانا وكان
يقول لاحدنا عند المعاتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة
فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو له وتانيسا له
لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على الياس والقنوط وقد يكون
ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصابه وتمحية لما اجترم
وان تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة
له **فان قلت** فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير
حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر الحديث **فالجواب** ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه
القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما
لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم **وذكر** في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ
للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال
غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما
معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته
عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حملة الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له عليه السلام وضربتني
بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديث الاخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال له

الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى و
النبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول تدرك حاجتك وهو يابى فضربه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثلث مرات
وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان حظ نفسه من الامر
حتى عفى عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني
بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما كان ضربه لمنكر راه
ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه فصل واما
افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في
بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها
او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم به
جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين
معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا
لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد
للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات
ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح
امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا
منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه
من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين
من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم عليه السلام
مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغيرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة
رضي الله عنها في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم عليه السلام ويفعل الفعل ثم
يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت
ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره
ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى به الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى

حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه و
يضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول
ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعائشة رضي الله عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما
دخل الان له القول وضحك معه فلما خرج سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر
له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه
ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة
الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يتألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني
وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله عليه السلام فيه بئس ابن العشيرة هو غير
غيبة بل هو تعريف بما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا
ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة بعض
المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام
لعائشة رضي الله عنها وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي
لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله
فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة رضي الله عنها
كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي
لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ تقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة
وقال وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من
شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام
بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي
فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم
قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم
بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف

عليه السلام بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم سرقتها وما جرى على إخوته في ذلك وقوله إنكم لسارقون
ولم يسرقوا فاعلم أكرمك الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف عليه السلام كان عن أمر الله تعالى لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله الآية فإذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وأيضا فإن يوسف
كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له
وإزاحة السوء والمضرة عنه بذلك وأما قوله سبحانه أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب
يحل شبهته ولعل قائله إن حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل
بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم أن نقول الأنبياء ما لم يأت أنهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن
زلات غيرهم فصل فإن قيل فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام
وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب عليه السلام ويعقوب عليه السلام ودانيال عليه السلام
ويحيى عليه السلام وزكريا عليه السلام وعيسى عليه السلام وإبراهيم عليه السلام ويوسف عليه السلام وغيرهم صلوات
الله عليهم وهم خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى كلها
عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال تعالى لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم
أحسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و
الصابرين ونبلو أخباركم فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد
لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء
بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم أو غفلات سلفت
لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل حدثنا القاضي أبو علي الحافظ
ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا ثنا أبو يعلى البغدادي قال ثنا أبو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن
سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى
وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الآيات الثلاث وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء

البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن أنس رضي الله عنه عنه عليه السلام
إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي
به يوم القيمة وفي حديث آخر إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي أن كل من كان أكرم
على الله تعالى كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان أنه قال يا بني
الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي أن ابتلاء يعقوب بيوسف عليهما السلام
كان سببه التفاته في صلاته إليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل
مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار
ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وابيضت عيناه
من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب
وعوقب يوسف عليه السلام بالمحنة التي نص الله وروي عن الليث أن سبب بلاء أيوب عليه السلام أنه دخل
مع أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه وأغلظوا له إلا أيوب فإنه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان
عليه السلام لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة أصهاره أو للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فائدة
شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت الوجع على أحد
أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت إنك لتوعك وعكا شديدا قال أجل إني لأوعك كما يوعك
رجلان منكم قلت ذلك أن لك الأجر مرتين قال أجل ذلك الأمر كذلك وفي حديث أبي سعيد رضي الله
عنه أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أطيق أضع يدي عليك من شدة
حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء إن كان النبي ليبتلى بالقمل
حتى يقتله وإن كان النبي ليبتلى بالفقر وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن أنس
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن
رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به إن المسلم
يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عائشة وأبي ومجاهد رضي الله عنهم و
قال أبو هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية

عائشة رضي الله عنها ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود وما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله عز وجل في الامراض لاجسامهم و تعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفاها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله تعالى منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا اراح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته و ثوابه عليه فاذا كان بهذا السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتنع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الآخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الآية وصبحهم به على غير استعداد وبغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث ابرهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا

الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجأة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه و فراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا

سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة ويريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبيه بهم وقطع الذريعة
بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة
اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم
وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايتهم له وهو عليه السلام
واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة
لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك
انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك
المنافقون والمستهزؤون ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا السوى
تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا العلماء نهيه عن
هذا مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها
وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب
والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعونه بكنيته ابي
القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه
عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد
باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق
الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد فصلنا الكلام
في هذا القسم على بابين كما قدمناه **الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص**
من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او
الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له
او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب والحكم فيه حكم الساب يقتل كما
نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا

او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم
او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء
والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء
وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام
اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد
واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم
لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة و
اصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة
كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب
الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة
وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد
الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء
ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة
القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل
خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي
لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في
كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه
فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان
ابن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام
مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب

وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب
لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل
ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء
النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على
نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال
في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما
يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون
صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس
يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا
وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله
العقرب فقال ابن ابي سليمن للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال
حبيب بن الربيع لان ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل
ادّ واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل
وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق
النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن
قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل
ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي
العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه
ونبينا صلى الله عليه وسلم اجمعين فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله
وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت

رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ
في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلوة والسلام انه قال لا يلغ الكلب في
دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص
اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه عليه الصلوة والسلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد
النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا او تنقصا
يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك
اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى
من عدوه او شدة في زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك
ويأتي ما يدل عليه فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه الصلوة والسلام فمن القرآن لعنه الله تعالى
لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته
في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر
عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله
اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب
والنكال فكان حكم مؤذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب الله اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم
يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو اذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون

عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال ثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوية قالا ثنا محمد بن نوح
ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه
عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله
غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى
وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره
يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه الصلاة والسلام وفي حديث
آخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم
فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى
البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معاشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي
صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروى ايضا
ان امرأة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها
وروى ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير ليقتلاه وروى ابن قانع ان
رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم
يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان
امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر
فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت
امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض
فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له
ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه

وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت
يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير
واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه
فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على
قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله
بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من
الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل
شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين
ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي
ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم
ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله
ولعلهم ممن لم يشهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف
هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه
ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته
وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين
والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا
كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك
وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل
سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به
ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم
في الكرامة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظم قدره وشفوف منزلته

على غيره.

فصل فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه، ولا قتل الآخر الذي قال له إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر، ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان. **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول الإسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم إليه ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين، ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا، ويقول لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه، وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان، وبذلك أمره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين، وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وذلك لحاجة الناس للتألف أول الإسلام وجمع الكلمة عليه، فلما استقر وأظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح، ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم أو غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان به ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة، وكذلك نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم ولقوه مسلمين. وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر، وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر، وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا وأخلص سرا كما أخلص جهرا، ونفع الله تعالى بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار. وبهذا أجاب بعض أئمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال، وقال لعله لم يثبت عنده عليه الصلوة والسلام من أقوالهم ما رفع وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي أو عبد أو امرأة، والدماء لا تستباح إلا بعدلين. وعلى هذا يحمل أمر اليهود في السلام وأنهم لووا به ألسنتهم ولم يبينوه، ألا ترى كيف نبهت عليه عائشة رضي الله عنها، ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه، ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين فقال إن اليهود إذا سلم أحدهم فإنما يقول السام عليكم فقولوا عليكم. كذلك قال بعض أصحابنا البغداديين إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم

ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم، وأيضا فإن الأمر كان سرا وباطنا وظاهرهم الإسلام والإيمان، وإن كان من أهل الذمة بالعهد والجوار، والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب، وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار الدين بحكم ظاهرهم، فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الإسلام غير واحد، ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم أن القتل إنما كان للعداوة وطلب أخذ الترة، وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله، ولهذا قال عليه الصلوة والسلام لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، وقال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم، وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حد الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها. وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم، وقاله القاضي أبو الحسن بن القصار. **و**قال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية، **قال** معناه إذا أظهروا النفاق. **وحكى** محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها. **وقال** بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله **وقوله** اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له، وإنما رآها من وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها فلم ير ذلك سبا، ورأى أنه من الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه، فلذلك لم يعاقبه، وكذلك يقال في اليهود إذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر. **وقيل** بل المراد تسأمون دينكم، والسأم والسآمة الملال، وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب، ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم. **قال** بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى. **قال القاضي** أبو الفضل قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه عليه السلام سواء. **وقال القاضي** أبو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم، ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب، ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل، والأولى في ذلك

كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم
البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما
ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر عليه الصلوة والسلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه
الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم
الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين
وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف واجلاهم من جوارهم واورثهم
ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى **فان قلت** فقد
جاء في الحديث الصحيح عن عائشة انه عليه الصلوة والسلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا
ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله **فاعلم** ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان
هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول
والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل
او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي
شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه
او يكون هذا مما اذاه كافر وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي
اراد قتله وعن اليهودية التي سمته **وقد** قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب و
المنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق **فصل**
تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه
بين لا اشكال فيه **الوجه** الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام
غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او
تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان
كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او
زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه
من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد

لم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او ضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة
وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا
بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى
الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه **وقال** محمد بن
سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه
وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا **و**افتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم
النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد
لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من
زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة **و**قوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف
النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جنايتها اثم
وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون **فصل** الثالث ان يقصد
الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به او ينتقل بقوله ذلك الى دين
آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد و
قوي الخلاف في استتابته **و**على القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم
ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط
قتله التوبة عندنا كما سنبينه **قال** ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال
الدم الا ان يرجع **وقال** ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن
وانما هو شيء تقوله يقتل **قال** ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد
وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون
قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله
وقال اشهب في يهودي تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا
بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مع فريته على الله

تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن
الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد
ابن ابي سليمن صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد وقال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل
لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له
زنديق يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل او يلفظ من القول بمشكل يمكن
حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فههنا مترددة
النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من
حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم
حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على
النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم
وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره
بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي
صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده
الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لاجل امر الآخر له
بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي
وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق
قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه
وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون
امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان
فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين
وما ترد اليه التأويلات لا بد من انعام النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد

زيد رحمه الله تعالى فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء
وانما اراد الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم
المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل
وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله
وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسألة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام
سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه
يدخل في مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى آدم
عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه
من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت
الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه او من نسله او ولده على علم منه
انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض آبائه واخراج
النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا رحمهم الله فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء
ثم قال تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر
اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من
الكفار وافتى بها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه
ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا
القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله
وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن
حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل الوجه
الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا ولكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه الصلوة
والسلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته
او غضاضة لحقته على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او على سبيل التمثيل و
عدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في

النبي او ان كذبت فقد كذب الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم تسلم منهم
انبيا الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله عن عداه
وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار
المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس
فيكما من فقير على ان آخر البيت شديد وداخل في باب الازرا والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره
عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه لم ياته
برسالة جبريل فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين
احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الآخر
واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين وقول الآخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا
فصبر الله قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعرا الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره
ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها
مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم
فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله
عظيم لا سيما الشعرا واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج
كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل
الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبيا عليهم السلام
نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازرا وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر
حرمة الاصطفا ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفا منها او
ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلا في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره
وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره
بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق
منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جا به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي
سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخنا انت المستهزئ بعصى موسى

موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد
الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد
انفصل الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره لان
حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في امثال
هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي
النوادر من رواية ابن مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم
فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل
الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبيا قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا
يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد
كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما
امرنا الله تعالى وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان
فقال اي شي اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف
النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب
للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفها قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا
الذي ذكره عندما انكر من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله
ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له
التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم
للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي
فقال الشاب اليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما
اطلاق الكفر عليه فخطا لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي اميا آية له وكون هذا اميا
نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله فيترك
لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى
فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشي فقال له انما تريد نقصي بقولك

بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطلاق سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب
وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله **فصل** الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له
عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب
والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام
بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس
على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك
والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او بشهادته
او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه
ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك
ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد
في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام
بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن
لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب
في تكثير الشهادة وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا
وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه ان لا يؤدي شهادته
قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى
الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك **واما** الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى
لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا
لغير غرض شرعي بمباح **و**اما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه
وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا
في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع
السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس
وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحرث بن اسد فقد

اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فاما ذكرها
على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم
في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في
المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته
او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة
اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد
وقد حكى ان رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري
فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان
اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان
مولعا بمثله والاستخفاف له والتحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم
الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه **وقد** قال
ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من
الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى وجد
دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا
روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه
بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى
عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته ونشره فكيف بما يتطرق الى
عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم **فصل** الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في
جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته
من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته
كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت به العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه
الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان
يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه

او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن
ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه باسترعائه الغنم في ابتداء حاله
وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله عز وجل بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة
واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك حكمة بالغة
للانبياء عليهم السلام وتدريج الله تعالى الى كرامته وتدريبهم برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة
في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله تعالى قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة
بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم
شيئا فشيئا ونما امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله
تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا
اشياع متقدمين لحسب كثير من الناس ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سال
ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان من آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته
واحد علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي
يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة
ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع
ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا
ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب
استغنى عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان
من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه
واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته
وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب
وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة

لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها
موردها وقصد بها مقصدها كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي
قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره صلى الله عليه وسلم واخبار سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تاويل وتردد
احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره
التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا
فقيل له ان ابن عجلان يتحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه رحمه الله على ترك التحدث بها
وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا
يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه
وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة
وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز
ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن ومنهم من كفر
فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها
ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان يذكرها على وجه التعريف بانها ضعيفة
المعنى واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة
لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام
عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها
وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما
لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره
صلى الله عليه وسلم وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه
علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه
ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة
وتكلم على مجاري اعماله واقواله صلى الله عليه وسلم تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه

واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة
ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن
ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وشناعته
واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة بعض الصغائر
فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا
من حق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب له من تعزيز واعظام صلى الله عليه وسلم وقد رأيت بعض العلماء
لم يتحفظ من هذا فقبح ولم استصوب من عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد قوله لاجل ترك
تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا
في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه صلى الله عليه وسلم اوجب والتزامه اكد فجودة
العبارة تقبح الشيء وتحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر ويهونه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه له فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها
كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب
ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيزه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف رضي الله
عنهم يظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني فكان بعضهم يلتزم مثل
ذلك عند تلاوة اي القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب
فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبيه بمن كفر به الباب الثالث في

حكم سابه وشانئه ومنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قال القاضي رحمه الله
قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور
مذهب مالك رحمه الله واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه
ولهذا لا يقبل توبته عندهم ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق و
مسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء

او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود وقال الشيخ ابو الحسن القابسي
رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر قتل بالسب لانه هو حده وقال ابن سحنون من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق
اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره
لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته
لاني استدل على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل
المتقدم لانه حق يتعلق للنبي صلى الله عليه وسلم بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق
اذا تاب بعد القدرة فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن
ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب وقال محمد بن سحنون
ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل
شيئا حده عندنا القتل وعندنا لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال
القاضي ابو محمد بن نصر رحمه الله محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى
على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله
تعالى بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه
صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من
الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق الادميين فكان كالمرتد يقتل
عند ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف ايضا فان توبة المرتد اذا قبلت
لا تسقط ذنوبه من زنى وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع
الى تعظيم حرمته وزوال المعرة وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يريد والله
اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان توبته واظهار انابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من سب
النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين

التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هو مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل
واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم
فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه
والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه
حدا وانما يقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله
حدا لاثباته كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه
في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون الكفر عليه ويشهد عليه
بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بما يجب من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكفر في القتل فلا
نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية
وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له
خصائصه كقتل تارك الصلاة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان
سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته
ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره
وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة
الله تعالى وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء
ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك
مقاصدهم ان شاء الله تعالى **فصل** اذا قلنا في الاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف
في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم
الى ان المرتد يستتاب **وحكى** ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر رضي الله عنه
في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطاء
ابن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحق واصحاب
الرأي وذهب طاووس ومحمد بن حسن وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب
وقاله عبد العزيز بن سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف

وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا تدرأ القتل عنه لقوله صلى الله
عليه وسلم فاقتلوه **وحكى** ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي
وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء **وروي** عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطاء وقتادة **وروي** عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة
قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء **واما** مدتها فمذهب الجمهور **وروي** عن عمر رضي الله
عنه انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر رضي الله عنه وهو احد قولي الشافعي
وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس
قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي آخذ به في المرتد قول
عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل **وقال** ابو الحسن بن القصار
في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب
الرأي **وروي** عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها **و**قال الشافعي
مرة فقال ان لم تتب مكانه قتل واستحسنه المزني **وقال** الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات
فان ابى قتل **وروي** عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين **وقال** النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ
الثوري ما رجيت توبته **و**حكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث
جمع كل يوم او جمعة مرة **وفي** كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى
ضربت عنقه **و**اختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا **فقال** مالك ما علمت
في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره **وقال** اصبغ يخوف ايام الاستتابة
بالقتل ويعرض عليه الاسلام **وفي** كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف
بالنار **وقال** اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء
ويوقف مع ذلك ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع
وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا **قال** ابن وهب
عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم **وقال** اسحق يقتل في
الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة

قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك
والكوفيين والشافعي فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يوجب ثبوته من اقرار او عدول
لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت
قوله لكن احتمل ولم يكن بصريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل
ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه و
صورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في
السجن والشدة في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته
وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره
وحالات الشدة عليه في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة
فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون
وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب
الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي رحمه الله في مثل هذا ومن كان اقصى
امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه
من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود
شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا
بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه
سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره
اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من
اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما
وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل قال القاضي رحمه الله هذا
حكم المسلم فاما الذمي فاذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به
فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء
الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل وما هو عليه من الشرك

الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر الآية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن
الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا
ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا اهل حرب يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم
لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا
عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به وورد لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره
الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف
فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله
بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره
فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله
تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف
ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية
عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي عليه السلام وجب عليه لانتهاكه
حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه عنه كما وجب عليه من
حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال
مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا
صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم
في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر
ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي
قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله تعالى
اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل اليه او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله

ونحو هذا فقيل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا
من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع
والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك
غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طايعا وقال ابن سحنون في سؤالات
سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل
وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبيا من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به ضربت
عنقه الا ان يسلم وقال محمد بن سحنون فان قيل فلم قتلته في سب النبي عليه السلام ومن دينه سبه وتكذيبه
قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحد منا قتلناه وان كان
من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على
اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه
وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره
ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله ويدل
على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما حكى ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي
اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله
وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب رحمه الله عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال
يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة
فهو الان في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال
مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها بشيء ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة
في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار
وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك
من مصر وذكر مسالة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت
ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه
فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا

اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى وتكذيب محمد في النبوة
وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال
ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله تعالى ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي
ابو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي باسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك من نبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر
ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام
هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم
وغسله والصلاة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى
انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته
من المسلمين ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال
ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما اظهر من
اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة
لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة
منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى
كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب
ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن
القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه
حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه
وقاله اصبغ قتل على ذلك او تاب عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله وانما يختلف في ميراث الزنديق
الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم
تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب
برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول

مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه
عن احمد وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد
فللمسلمين قال القاضي وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه بين حسن وهو على رأي اصبغ وخلاف قول ابن القاسم
واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف به
او اظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره وتوبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه
لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون
وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل
او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني
يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب بانه للمسلمين ليس على جهة الميراث
لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره والله الموفق للصواب

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه قال
القاضي رحمه الله لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن
القاسم في المبسوط وكتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله
تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على الله سبحانه بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب
وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم
لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد
من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما
حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره
ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هارون بن حبيب اخي عبد الملك
الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في
مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله

قوله تجوير الله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين
بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب
لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق
لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك
استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ
لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى دين آخر واظهر السب بمعنى الارتداد
فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المستمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذهب اكثر
العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل** واما من اضاف الى الله تعالى
ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي الى
الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده
واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما
اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم
حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج
وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز
وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من
الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لكتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك
او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال
واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال
وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء قال وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى
عليه السلام تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من
الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلف
الرواية عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في
زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء

كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده بيد او سمع او بصر قطع ذلك
منه لانه شبه الله تعالى بنفسه وقد قال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع
يوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله
البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين من اصحابنا جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية
وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا تستتاب القدرية واكثر
اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة وروي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن
وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين و
هو قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع
المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول
الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء والنظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر
المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل
البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحاربين ان رأى الامام قتله وان
لم يقتل قتله وفساد اهل البدع معظمة على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة
والله الموفق للصواب فصل في تحقيق القول في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب
البدع والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم
اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من ابى ولم ير
اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقال هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من
المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة
وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير
او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو هذا ذهب القاضي ابو بكر
امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي
اليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه

انهم على رأي من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف في
موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين و
اكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري رحمه الله واكثر قوله ترك
التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم او المسيح او
بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي
محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او
اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل
فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في سفك محجمة
من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها
الا بقاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معترضة للتاويل فما جاء
منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم
وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها فانه قد ورد مثل
هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء
وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع و
قوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج هم شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى
لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد
فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم ودليله من الحديث
نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحده لا للمقتول وليس كل
من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله
يصلي فان احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل في
قلوبهم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم
على فوقه وكذلك قوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الآخر ان معنى

لا يجاوز حناجرهم لا يفقهون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعاضدوهم
بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير
ابي سعيد رضي الله عنه الرواية واتقانه للفظ اجابهم الآخرون بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم
من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي
امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون في امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم
من الامة بفي ولا على ادخالهم في الامة بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه
وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في
الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها
قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله
تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو
كافر وقول بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر
وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لا يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن
الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق
الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره
وقد حكى القاضي الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا
ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا
الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ
لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا
كله كافر للاجماع على كفر من لم يكفر احدا من اليهود والنصارى وكل من فارق دين المسلمين او
وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك
فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر فصل في بيان ما هو
من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه

فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية
او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية
واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او
النجوم او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة و
اصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه
اعتقد انه غير حي او غير قديم او انه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او
ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع من المسلمين كقول
الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد
الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم
او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الآباد في
الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة
من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او واحد من الانبياء الذين نص الله تعالى عليهم بعد علمه
بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا
كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الروافض وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا
في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك كل من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز على الانبياء
الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض
وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور
الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق
على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي
وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به
او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل
نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك يكفر من ذهب مذهب القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا
ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير

إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياؤه بهذه الأوصاف بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف
مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك يكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود أو مات قبل ان يلتحي أو ليس الذي كان بمكة والحجاز أو ليس بقرشي لان
وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة آخر مع نبينا صلى الله
عليه وسلم أو ادعى نبوة أحد بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين
بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل
امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان وأشباه
هؤلاء أو من ادعى النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى إليه وان لم يدع النبوة أو انه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها
ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين
وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص
فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب
أو خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا يكفر من لم يكفر من دان
بغير ملة الاسلام من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال
كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به إلى تضليل
الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم
عليا وكفرت عليا إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر
الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد إلى علي رضي الله عنه
وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله محمد وآله وكذلك نكفر بفعل أجمع المسلمون
على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم وللشمس والقمر
والصليب والنار والسعي إلى الكنائس والبيع مع أهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد أجمع المسلمون
ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك

وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل أو شرب الخمر أو الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب
الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف
يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول عليه السلام ووقع الاجماع المتصل عليه كمن أنكر وجوب الخمس الصلوات أو عدد
ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط
لا أعلمه إذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك أجمع المسلمون على تكفير
من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم
والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت
بهم إلى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة
الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة
هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها ولعل الناقلين ان النبي عليه السلام فسرها بهذه
التفاسير غلطوا أو وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين و
امتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد باسلام فيقال له سبيلك ان تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة
المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك و
ان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفة عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله
عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك وأبان
حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق
فلا يعذر بقوله لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر على التكذيب إذ لا يمكن انه لا يدري وأيضا فانه إذا جوز على
جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله تعالى به
أدخل الاسترابة في جميع الشريعة إذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من أنكر القرآن
أو حرفا منه أو غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية أو زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم
أو ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب
ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بهذا القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في

سائر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله سبحانه وتعالى
لمخالفته الاجماع والنقل المتواتر عن النبي عليه السلام باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران به وكذلك من انكر
شيئا مما نص فيه بعد علمه انه من القران الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب
عهد واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فيكفر بالطريقين
المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث
والحساب والقيمة فهو كافر باجماع النص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك
ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعمهم ان معنى الحياة وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم
كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء واما
من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة
من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر وعثمان وخلافة علي رضي الله عنهم بالنقل ضرورة
وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم به اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة
كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم
المسلمين اجمع فنكفره لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر
عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح
الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
الاية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع
على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله
العلماء وذهب آخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع بقوله هذا
مخالف اجماع السلف فاحتج به خارق للاجماع **قال** القاضي ابو بكر رحمه الله القول عندي ان الكفر بالله
هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله
فان عصى بقول او فعل نص الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر
او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون

لا يكون الا باحد ثلاثة امور **احدها** الجهل بالله تعالى **و**الثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله
او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنانير مع اصحابها في اعيادهم
او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله **قال** فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان الذي فعلهما
كافر منسلخ من الدين **فاما** من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم
ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى **فقد** نص ائمتنا على الاجماع على كفر من
نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر
المتاولين كما قدمنا **فاما** من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم **وحكى**
ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة **و**ذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه
عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري **قال** لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر
من اعتقد ان مقالته حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير
وبحديث القائل لئن قدر الله علي **وفي** رواية لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس
عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل **وقد** اجاب الآخرون عن هذا الحديث بوجوه **منها** ان
قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد
عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك به حينئذ كفرا **فاما** ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون
بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها **و**قيل انما قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط
للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهبت لبه فلم يؤاخذ به **و**قيل كان هذا في زمن الفترة وحيث
ينفع مجرد التوحيد **و**قيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف
وله امثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين **فاما**
من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب
المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف
بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التاويل من المشبهة
والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا
على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر

بل نقول إن قولها لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذا
فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم
بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر
المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت
سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي
الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل
على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا
لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي أبو بكر رحمه الله وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية و
المخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في إكفار المتأولين فيها
أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد
قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى **فصل** هذا حكم
المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في ذمي تناول من حرمة
الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب **وقال** مالك في
كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر قتل ولم يستتب **قال** ابن القاسم إلا أن يسلم **قال** في المبسوط طوعا **قال** أصبغ
لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد **و**أما غير هذا من الفرية
والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد **قال** ابن القاسم في كتاب محمد من شتم من غير أهل الأديان الله
تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم **وقال** المخزومي في المبسوط ومحمد بن مسلمة وابن أبي
حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا فإن تاب وإلا قتل **وقال** مطرف وعبد الملك مثل قول مالك
وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله بغير الوجه الذي كفر به قتل إلا أن يسلم **وقد** ذكرنا قول ابن الجلاب قبل
وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي
كفرت به لله تعالى وللنبي صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله تعالى به وسب نبيه لأنا

لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم ولا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو
نقض لعهدهم **و**اختلف العلماء في الذمي إذا تزندق **فقال** مالك ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه
خرج من كفر إلى كفر **وقال** عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين لا يقر عليه أحد ولا يؤخذ عليه جزية **قال**
ابن حبيب وما أعلم من قاله غيره **فصل** هذا حكم من صرح بسبه وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته **فأما** مفتري الكذب
عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة أو النافي أن يكون الله تعالى خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما
لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه
تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب
ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل على
سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي
وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال
ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه
على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه
من ادعى له الإلهية وقتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك
بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام
المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول
بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقيد و
كان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي
وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل **وقال** أبو حنيفة وأصحابه من جحد أن الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي
رب فهو مرتد **وقال** ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد
وقاله سحنون وغيره وقال أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا إن كان معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل
وقال أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله فيمن لعن باريه وادعى أن لسانه زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل
عذره وهذا على القول الآخر في أنه لا تقبل توبته **وقال** أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله إن تاب أدب فإن
عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لأن هذا كفر المتلاعبين **فصل** وأما من تكلم من سقط القول

وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل
ببعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام للمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر و
الاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه
وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقيص
لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان
خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية
وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا انه عبث من القول
يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب رحمه الله دمه في عنقي
ايشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى فرفع المجلس الى الامير
بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء
فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة
الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من
صدرت منه في ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها
ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل
ابن القاسم عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله
على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر و
يعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير
من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا
ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نقل مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره
علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض
الاعراب ۞ رب العباد ما لنا وما لكا ۞ قد كنت تسقينا فما بدا لكا ۞ انزل علينا الغيث لا ابا لكا
في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يثقفه تثقيف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما
يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي

الخطابي وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال
ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا قال بعض من ادركنا
من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله عز وجل الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول جزيت خيرا وقل ما يقول
جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي
كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء
يتمندلون بالله تعالى وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه
التي فصلناها والله الموفق **فصل** وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او
كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
الاية وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله تعالى لا نفرق بين احد
منهم وقال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب
ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء واحدا منهم او تنقصه
قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل و
قال القاضي بقرطبة سعيد بن عبد الرحمن في بعض اجوبته من سب الله تعالى وملائكته قتل وقال سحنون
من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي
علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك
لقولهم كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء
او تنقص به احدا منهم او بريء منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه مالك
الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه
على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه
في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة
وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء كعزرائيل و

اسرافيل ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما ما لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع
على كونه من الملائكة والانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية
وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم
والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر حال
المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او انكار كون الآخر من
الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس
زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف رحمهم الله الكلام في
مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء
منه او سبهما او جحده او حرفا منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت
ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله
تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه
ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة
ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تأول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك
ان جحد التوراة والانجيل او كتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد
اجمع المسلمون ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه
او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا
انه كافر ولهذا رأى مالك رحمه الله قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف
القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم رحمه الله من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل
وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه

عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد عليه شاهد عدل على من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على تكذيب النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو
العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع
انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله
ومن كفر به قتل وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن
كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال له الآخر لعن الله التوراة
فشهد عليه شاهد بذلك ثم شهد آخر انه سأله عن هذه القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو
الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين
بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التأويل وقد اتفق
فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة القراء المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه
بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه
في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلث وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري
وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد
القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل فصل وسب آل النبي صلى الله عليه وسلم و
ازواجه واصحابه رضي الله عنهم اجمعين وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي
ثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله
ابن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجيء اقوام في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم و

لا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب
اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام
فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في عائشة
وقال في فاطمة هي بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك
الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب
وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابابكر او عمر او عثمان او عمرو بن العاص فان قال
كانوا على ضلال او كفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من
غلا من الشيعة الى بغض عثمان رضي الله عنه والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب
النبي عليه السلام وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا وعثمان رضي الله عنهما
او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم انهم
كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب
ابابكر رضي الله عنه جلد ومن شتم عائشة رضي الله عنها قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران
وقال ابن شعبان رضي الله عنه عن مالك لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين
ومن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابابكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر
في القران ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة رضي الله عنها فقال تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا
ان نتكلم بهذا سبحانك فسبح نفسه في تنزيهها من السوء كما سبح نفسه عز وجل في تنزيهه من السوء وهذا
يشهد لقول مالك رحمه الله في قتل من سب عائشة رضي الله عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى
لما عظم سبها كما عظم سبه تعالى وكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان حكم مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك كما قدمناه
وشتم رجل عائشة رضي الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال
ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه الى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه
حتى لا يشتم احد بعد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك رضي الله عنه من انتقص احدا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلاثة اصناف فقال تعالى للفقراء المهاجرين
الاية ثم قال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الاية وهؤلاء الانصار ثم قال تعالى والذين جاؤا من
بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق لهم في فيء المسلمين و
في كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا
لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه
قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له
والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله
عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة رضي الله عنها من ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما انه يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والاخر انها
كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله
عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق النبي صلى الله عليه وسلم وافتى
ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امراة بالليل قال لو كانت بنت ابي بكر الصديق رضي الله
عنهما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا
يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو اخص باسم الفسق من اسم الفقيه
فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه
واستوفي الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع
وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارع من التحقيق لم يرد لها قبل في اكثر التصانيف
مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابه
فيه لاكتفي بما ارويه عما ارويه والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما

تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف
مصطفاه وامين وحيه واسهرنا فيه جفوننا لتبليغ فضائله واعملنا فيه خواطرنا من ابهى اجتبائه
ووسائله ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد ذياد
المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن يهتم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة
نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصي
زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده
تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم ونستعيذه
جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله
ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصرين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا
ونعم الوكيل كتبه العبد الداعي مصطفى من تلاميذ
دده زاده غفر لهما